Ire. Année, No. 19

Dimanche, 15-10-1933

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

....

الإدارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٣٩٩٢

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً
فى أول كل شهر ونصفه

العـــدد التاسع عشر « القاهرة فى يوم الأحد ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العـــدد

القرية أمس واليوم . . .

كان أكتوبر فى الزمن السعيد يقبل على القرية إقبال الربيع ، يَفتّق لوز القطن فى الحقول ، ويشقّق ورد الصبى فى الخدود ، ويفتّح نوّار المنى فى القلوب ، ثم يمر بيده الذهبية على نصَب الفلاح فيزول ، وعلى هم المدين فينفرج ، وعلى غمرة المكروب فتنجلى ، ويرسل الخصب مدراراً على المنازل الجديبة فيرتاش المقلّ ، وينعم البائس ، ويتزوج الأعزب !

كنتَ فى أكتوبر ، شهر الغنى والزواج ، ترى مزارع القطن رفّافة الوجوه ، بسامة الصور ، تنساب بين خطوطها البيض أسراب الغيد بجنين الثمرة الغالية ، وهن يغنين الأغانى الجميلة ، ويحلمن الأحلام اللذيذة ، ويتخيلن هذا القطن الذى يجمعنه الآن بأناملهن ، ويضعنه فى أحضانهن ، وقد أصبح الثوبَ الزاهى الذى اشتهينه ، والقُرط الذهبى الذى ابتغينه ، والزوج الحبيب الذى طالما تمنينه ! فاذا جئت القرية وجدتها زخّارة بالحياة ، موّارة بالحركة ، تمرح بحماس الشباب ، وتموج بأطياف الحب ، وتهزج بأناشيد الأعراس ، وتتلقى جزاءها الأوفى على جهادها الصابر طول العام فى فلاحة الأرض وخدمة المالك ، واعانة الحكومة

فالطرق الآتية اليها من الغيط تسيل بالعذارى الأوانس يصفقن بالأكف المخضوبة ويحدون بالأصوات الندية ،

(والخواجات) يخرجون متعاقبين من بيت الى بيت يساومون على (المحصول) بالأثمان المغرية، والشباب المرحون يسمرون الى موهن الليل على الرباب والأرغول فى بيوت الأفراح القروية، وأشعة الخريف الفاترة تبعث فى قلوب هؤلاء الخليين طلاقة العيش وجمال الوجود، فلا يشغلون بالهم بالزروع التى تذبل، والأوراق التى تسقط، والطبيعة التى تموت!

***

ذلك حديث القرية المصرية بالامس، فهل أتاك حديثها اليوم؟ لم يعد واأسفاه للقطن تلك القوى السحرية التى كانت ترد البؤس نعيما وتجعل النار جنة! ولم تعد الطرق السالكة اليه شادية بالغناء، ولا الأنامل التى تجنيه مخضوبة بالحناء، ولا الدور التى تحويه ألاّقة بالذهب! فقد القطن ولواحقه من سائر الغلات معنى الرخاء فأصبح علاجها عناء خالصا لا رَوْح فيه، وسعيا باطلا لا رجْع منه!! وكان الفلاح قد أقام بيته وأدار حياته على هذا الحاصل، فكان يأكل حبوب الارض ثم يرصده وحده لقضاء الدين وأداء الضريبة ووفاء القسط وسداد العوَز وأكلاف السنة، فلما بخست قيمتَه الظروف القاسية تزعزع البيت، واضطربت الحياة، وانتشرت الحال، واستحكمت الازمة، فألحف الدائن فى الطلب، وأعنف الصراف فى التحصيل، وأسرف البنك فى الحجز، حتى انتقص لهم من قوُته، واقتطع لهم من ثوبه، ونزل لهم عن جهده، ولم يغن كل ذلك شيئا عن بيع ملكه!

تبدلت القرية غير القرية، فلا ليلى تطمع فى زينة، ولا أخوها يطمح الى زواج، ولا أبوهما يفكر فى حج! وأصبحت الطريق الذاهبة الى المدينة تجيء بالمرابى والصراف والمحضر، بعد أن كانت تجيء بالشاعر والزامر والمغنى، وغاضت بشاشة العيش فى وجوه الشباب فعادت القرية جديبة كالقفر، كئيبة كالقبر، لا يعقد فيها اجتماع لأنس، ولا يقام بها احتفال لعرس! وما أبعد هاتين الكلمتين اليوم عن قوم ندر عندهم الكبريت (الأصفر) حتى اتخذوا الزناد، وغلا عليهم التبغ حتى اشترك ثلاثة فى سكارة!!

***

لا تزال القرية كما كانت فى القرون الخوالى أكواخا متلاصقة من الطين غرْقى فى المناقع والدِّمَن، لا تبصر الشمس، ولا تنشق الهواء، ولا تعرف النظافة، تكومت فى قاعها أرواث البهائم وزرق الدجاج، وتراكم على سطحها حطب الوقود وعلف الماشية، وتقاسم الانسان والحيوان المضاجع فى هذه الحظائر المشتركة! ثم راض الفلاح نفسه مرغماً على الطعام الوخيم والشراب الكدِر والملبس الرثّ والقناعة المزرية، حتى مات فى حسه ادراك الجمال، وتفه فى ذوقه طعم الوجود!

ذلك والعواصم المصرية تعيش فى القرن العشرين تأخذ بمدنيته، وتقبس من نوره، وتنعم برفاهه، كأن الصلة بين القرية والمدينة هى الصلة التى كانت بين العبد والسيد، يملك ولكن ملكه لمولاه، وينتج ولكن انتاجه لسواه!!

تغلغلت المدنية فى الأمم الأوربية حتى انتظمت قمم الجبال وبطون الأودية وأطراف السهوب، وسوّت بين بنيها فى مُتَع العيش وحقوق الانسان، ثم تشوفت الى الآفاق الغائمة فى الشرق تريد أن تهديها طريق الحضارة، ونحن لا نزال قاصرين عن انقاذ قرانا من الجهل والمرض والفاقة، وهى مصادر القوة وموارد الانتاج تعول الموظفين بالضرائب، وتغذى الجيش بالجنود، وتمد الحواضر بالأرزاق، وتعين الاحزاب بالمال، وتقيم (الحفلات) بالتبرع

***

ان الفلاح المسكين الساذج يسمع بالوزارات تسقط وتقوم، وبالأحزاب تختصم وتحتكم، وبالمجالس تنتثر وتنتظم، وبالدواوين تُفتح وتغلق، وبالأموال تُجْدَى وتنفق، فيسائل نفسه سؤال الجاهل الذاهل. الى مَن هذه الأعمال والأموال اذا لم يكن لى من ثمارها نصيب؟؟

لقد اشترينا بأقوات الريف أبهة العاصمة، وبنينا بانقاض القرية قصور المدينة، وغسلنا بعرق الفلاح أقدام المترفين، فكنا كمن حفر الجداول، وخطط الحقول، ونثر البذور، وشيد الأهراء، ثم طمّر فى سبيل ذلك فوهة الينبوع!!

احمد حسن الزيات

حول قصيدة

للدكتور طه حسين

فى مساء يوم من أيام سنة ١٩٢٠ دخل الأديب الفرنسى جاك ريفير على صديقه الشاعر العظيم پول فاليرى ، فرأى امامه صورا مختلفة لقصيدة أنشأها ، أو قل لقصيدة كان ينشئها . فاختلس صورة من هذه الصور ، ثم خرج فنشر هذه الصورة فى مجلة من المجلات الفرنسية الكبرى .

وهذه القصيدة هى « المقبرة البحرية » ويجب أن تعلم أن پول فاليرى لا يتم أثرا من آثاره الفنية وانما يتركه . وهو يفسر لنا هذا حين يتحدث الينا فى بعض ما كتب من الفصول ، بأن الشعراء وأصحاب الفن فى العصور القديمة ، لم يكونوا يتمون أثراً من آثارهم ، وانما كانوا يعملون فيه ينقحونه ، ويهذبونه . ينقصون منه ، ويضيفون اليه ، ويلائمون بين أجزائه ، يبتغون الكمال ما وجدوا الى ابتغائه سبيلا . حتى اذا أكرهوا على تركه اسلموه الى النار أو أسلموه إلى الجمهور . فالنار والجمهور عند پول فاليرى وعند أصحاب الفن الأقدمين سواء . كلاهما يميت الأثر الفنى بالقياس الى مبدعه لأنه يختص نفسه بهذا الأثر فيحرقه تحريقا ويقطع الصلة بينه وبين صاحبه ، ويجعله ملكا لنفسه ، يتمثله كما يشاء أو كما يستطيع ويذوقه ، ويفهمه كما يريد ، أو كما تمكنه ملكاته الخاصة من الفهم والذوق .

وپول فاليرى حريص على هذه السنة الفنية القديمة ، فهو لا يتم كما قلت قصيـــدة من الشعر ، ولا فصلا من النثر ، وإنما يمضى فيه مصلحا مهذبا ، ساعيا إلى هذه الغاية القريبة التى لا تدرك وهى الكمال . حتى تضطره الظروف الى أن يدع قصيدته أو فصله أو كتابه لصديق مختلس كجاك ريفير أو لناشر ملح ، أو لأى ظرف من الظروف التى تذيع آثار الشعراء والكتاب ، وتخرجها من أيديهم إلى أيدى القراء .

وكذلك فرضت هذه القصيدة فى صورتها المعروفة على صاحبها فرضا ، ولعله لو خير لاختار صورة أخرى من هذه الصور التى كانت بين يديه ، لكنه نظر ذات يوم ، فاذا المجلة الفرنسية الجديدة تنشر له قصيدة « المقبرة البحرية » فلم يكن له بد من التسليم والاذعان .

على أن من العسير جدا أن تظفر فى التاريخ الأدبى الفرنسى ، بقصيدة كثر حولها الحوار واشتد فيها الجدال ، وتشعبت فيها الخصومة ، كهذه القصيدة التى لا تزيد على أربعة وأربعين ومائة بيت . فقد انفق النقاد الفرنسيون أعواما يدرسونها ، ويحللونها ، ويلتمسون معانيها ، وأغراضها ، ومظاهر الحسن ودخائله فيها . ثم لا يتفقون على ذلك بل لا يتفقون على شىء من ذلك ، بل يبلغ بهم الاختلاف أقصاه . فاذا بعضهم يرفع القصيدة الى أرقى منازل الآيات الشعرية الخالدة واذا بعضهم ينزل بها الى حضيض السخف الذى لا ينبغى الوقوف عنده ولا الالتفات اليه . واذا الأمر يتجاوز المجلات والصحف الأدبية إلى الصحف اليومية الكبرى ، ثم يشتد الخلاف وتنظم الخصومة حتى يضطر ناقد من كبار النقاد إلى أن يبدأ بحثا دقيقا وتحقيقا بعيد الامد ، فيختار قطعتين من هذه القصيدة ، ويعرضهما على الأدباء والنقاد المعروفين يسألهم عما يفهمونه منهما ، وما يرونه فيهما من الرأى ، ويدعوه ذلك إلى أن يسألهم عن أصل من أصول الفن الشعرى ، ظهر أنهم لم يكونوا يتفقون عليه بحال من الاحوال ، وهو الوضوح أهو ضرورة من ضرورات الشعر الجيد ، أم هو شىء يمكن أن يستغنى عنه هذا الشعر ؟ واذا شئت الدقة والجلاء فقل أيجب أن يكون الشعر الجيد واضحا جليا يفهمه من قريب من سمعه أو قرأه ، أم يستطيع الشعر أن يكون جيدا وإن حال الغموض بينه وبين فهم القارئين والسامعين .

ولا يكاد يبدأ هذا التحقيق حتى يعود الخلاف حول القصيدة وصاحبها كما كان حاداً عنيفا متشعبا . وكان پول فاليرى فى أثناء ذلك قد انتخب عضوا فى المجمع اللغوى الفرنسى . فيثير انتخابه حقد الحاقدين وحنق المحنقين ، ويزيد الخلاف حدة وعنفا . وتستطيع أن تقول غير مبالغ ولا مسرف ان المثقفين الفرنسيين جميعا قد شغلوا بهذه القصيدة وصاحبها أعوام ١٩٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

وانتهى أمر هذه القصيدة الى السوربون ، وما أقل ما تعنى السوربون بشعر المعاصرين ، واذا استاذ من أساتذة الادب فيها هو مسيو جوستاف كوهين يتخذها موضوعا لدرسه فى تفسير النصوص الادبية ، واذا هو يتخذها موضوعا لكتاب سماه محاولة لتفسير المقبرة البحرية . كل هذه الحركة العنيفة والشاعر صامت لا يقول شيئا ، ساكن لا يأتى شيئا ، أو هو لا يقول ولا يأتى شيئا يمس هذا الخلاف العنيف حتى اضطر صاحب التحقيق الذى أشرت اليه آنفا أن يكتب اليه ينبئه بأن كثرة الذين أجابوا على ما ألقى اليهم من الاسئلة يعترفون بأن لقصيدته معنى ولكنهم لا يتفقون على هذا المعنى ، وانما يختلفون اختلافا شديداً فى تحصيله ، ويسأله أن يبين ما أراد ليقطع الشك ويزيل الخلاف ، فلا يجيب الشاعر ويضطر كاتب آخر الى أن يطالبه فى صحيفة من الصحف الكبرى

بأن يبين للناس ما أراد أن يقول فى هذه القصيدة، ليظهر من اخطا من النقاد ومن أصاب، ويصفه بالكبرياء، وبالحرص على أن يغيظ النقاد، ولكنه على ذلك كله لا يجيب حتى اذا ظهر كتاب استاذ السوربون، نظر الناس، فاذا الشاعر قد قدم بين يدى هذا الكتاب بمقدمة بديعة ممتعة، يصفها بعضهم بأنها مثيرة للدوار، لكثرة ما تشتمل عليه من المعانى والآراء فى وضوح لا يكشف الحجاب عنها كل الكشف، وفى غموض لا يريح القراء من التأمل واطالة البحث والتفكير. فاذا قرأت المقدمة البديعة الممتعة المثيرة للدوار، لم يتبين فيها القارىء جوابا لهذه الاسئلة الملحة التى ألقاها النقاد على الشاعر يتمنون عليه فيها أن يبين لهم ما اراد، وانما يجد القارىء فى هذه المقدمة اراء موئسه من الوصول الى تحصيل المعانى التى اراد اليها الشاعر حين نظم قصيدته. فهو يقول مثلا: ان الناس يسألوننى ماذا اردت ان تقول؟ فانا لم ارد أن أقول شيئا وانما اردت أن اعمل شيئا، ورغبتى فى هذا العمل هى التى قالت ما يقرأون، وهو يقول مثلا ان الاثر الفنى الذى يصدره الشاعر أو الكاتب أو غيرهما من أصحاب الفن لا يكاد يخرج من يد منشئه حتى يصبح اداة من الادوات العامة يصرفها الناس كما يريدون أو كما يستطيعون. ومعنى ذلك أن القصيدة اذا أذيعت بين الناس، فلكل واحد منهم أن يفهم منها ما أراد أو ما استطاع. فاما ما أراد الشاعر فامر مقصور عليه حين نظم، ولعله قد نسيه أو انصرف عنه الى غيره من المعانى فلا ينبغى أن يسأل عنه ولا أن يطالب بتبيينه للناس.

وأظرف وأطرف أن الشاعر يثنى على الكتاب الذى يفسر قصيدته فيقول: أنه قرب هذه القصيدة الى الشبان من تلاميذه، وأحاط بخصائصها التى تتصل بما فيها من الموسيقى والانسجام. ولكنه يقول: أوفق الأستاذ الشارح الى تحقيق المعانى التى قصد اليها الشاعر أم أخطأه هذا التوفيق

كل هذه الآراء وآراء أخرى للشاعر العظيم فى هذه المقدمة الممتعة إن لم تبين المعانى التى أودعها قصيدته فهى تبين شيئاً آخر أظنه أقوم وأجل خطراً من هذه المعانى، وهو مذهب الشاعر فى فن الشعر، وما ينبغى له من الارتفاع عن هذا الوضوح الذى يفسد الفن افسادا، ويقربه من الابتذال، فهو يرى مثلا أن جمال الشعر يأتى من انك تحدد اللذة الفنية فى نفسك، كلما حددت قراءته ومن انك تستكشف فى القراءة الثانية من فنون الجمال مالم تستكشفه فى القراءة الاولى، بل تجد فى كل قراءة فنونا جديدة من الجمال لم تجدها فى القراءات التى سبقتها، وأنت لا تجد هذه اللذة المتصلة المتنوعة الا لانك خليق أن تستكشف فى كل قراءة معنى جديدا يثير فى نفسك شعورا جديدا بالجمال، وهو يرى مثلا أن للشعر صفات تعصمه من الموت أو تعصمه من الموت القريب، وهذه الصفات تتصل بوزنه وقوافيه وهذه الصور الخاصة التى لا تجدها فى النثر. وموت الاثر الفنى عنده يأتى من فهم الناس له، فانت اذا قرأت كتابا وفهمته فقد قتلته وقضيت عليه. فهناك اذن جهاد عنيف بين القارىء والمقروء، فاذا فهم القارىء فقد غلب. وانما الاثر الفنى الخليق بهذا الاسم هو الذى يغلب قارئه ويعجزه، ولكن دون أن يضطره الى اليأس والقنوط. ومن هنا يرى شاعرنا العظيم أن النثر بطبيعة تكوينه أقرب الى الموت وأدنى الى الفناء، لأنه أقرب الى الفهم، وأدنى الى الهضم، لا تعصمه هذه الدروع المتقنة التى نسميها الوزن والقافية، والموسيقى والصور

فاذا اضفت الى هذه المقدمة ما كتبه شاعرنا العظيم فى مواضع مختلفة، وظروف مختلفة حول الشعر والنثر والادب عامة استطعت أن تلخص مذهبه فى الشعر الخالص أو فى الشعر العالى كما يقولون. فالشعر عنده كلام، ولكنه كلام ممتاز، وامتيازه لا يجب أن يأتيه من معناه وحده بل، يجب أن يأتيه من صيغته قبل كل شىء، فحقيقة الشعر انما تلتمس فى صيغته وشكله، تلتمس فى وزنه الذى يجب أن يبهر السمع ويؤثر فيه، تلتمس فى انسجامه الذى يجب أن يثير فى النفس لذة الموسيقى، أو لذة أرقى من لذة الموسيقى لأنها تمس العقل والشعور والسمع جميعا، ثم تلتمس فى صوره التى تروع الخيال وتروع معه الحس أيضا ثم تلتمس قبل كل شىء وبعد كل شىء فى هذه الصفة التى لا أدرى كيف اسميها أو أحددها، والتى تضطرك الى البحث والتفكير والى جهاد ما تقرأ فى غير ملل ولا يأس

وطبيعى بعد أن ثار هذا الخلاف العنيف الطويل حول هذه القصيدة أن تتجاوز حدود فرنسا، ويعنى بها النقاد الاجانب كما عنى بها الفرنسيون، كما يعنون بكل ما يصدره هذا الشاعر من الآثار. فقد ترجمت هذه القصيدة أربع مرات فى اللغة الاسبانية، وثلاثا فى اللغة الانجليزية، وثلاثا فى اللغة الالمانية ولكن الغريب انها ترجمت فى اللغة الفرنسية نفسها شعرا. ترجمها الكولونيل جودشو، وأرسلها الى الشاعر، فكتب اليه الشاعر يقول: اشكر لك خالص الشكر ما أرسلت الى من ترجمة المقبرة البحرية الى لغة أقرب الى الوضوح. وسأضيف هذه الترجمة الى التراجم الاسبانية الاربع، والى التراجم الانجليزية الثلاث، والى التراجم الالمانية الثلاث، والى تراجم أخرى لهذه القصيدة قد وقعت الى. وقد أعجبنى جدا

« البقيـــة على صفحة ٤٢ »

الرأى والعقيـــدة

للأستاذ احمد أمين

فرق كبير بين أن ترى الرأى وأن تعتقده — اذا رأيت الرأى فقد أدخلته فى دائرة معلوماتك ، واذا اعتقدته جرى فى دمك ، وسرى فى مخ عظامك ، وتغلغل الى أعماق قلبك

ذو الرأى فيلسوف ، يقول انى أرى الرأى صوابا وقد يكون فى الواقع باطلا ، وهذا ماقامت الأدلة عليه اليوم ، وقد تقوم الأدلة على عكسه غدا ، وقد أكون مخطئا فيه ، وقد أكون مصيبا ، أما ذو العقيدة فجازم باتٌّ لا شك عنده ولا ظن ، عقيدته هى الحق لا محالة ، هى الحق اليوم وهى الحق غدا ، خرجت عن أن تكون مجالا للدليل ، وسمت عن معترك الشكوك والظنون

ذو الرأى فاتر أو بارد ، ان تحقق ما رأى ابتسم ابتسامة هادئة رزينة ، وان لم يتحقق ما رأى فلا بأس ، فقد احترز من قبل بأن رأيه صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيره خطأ يحتمل الصواب ، وذو العقيدة حار متحمس لا يهدأ الا اذا حقق عقيدته . هو حرج الصدر ، لهيف القلب ، تتناجى فى صدره الهموم ، أرّق جفنه وأطال ليله تفكيره فى عقيدة ، كيف يعمل لها ، ويدعو اليها ، وهو طلق المحيا مشرق الجبين ، اذا أدرك غايته ، أو قارب بغيته

ذو الرأى سهل أن يتحول ويتحور ، هو عبد الدليل ، أو عبد المصلحة تظهر فى شكل دليل ، أما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله رسول الله : « لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أدع هذا الذى جئت به ما تركته » ، وكما يتجلى فى دعاء عمر : « اللهم ايمانا كايمان العجائز »

لقد رووا عن « سقراط » أنه قال « إن الفضيلة هى المعرفة » وناقشوه فى رأيه ، وأبانوا خطأه ، واستدلوا بأن العلم قد يكون فى ناحية ، والعمل فى ناحية ، وكثيرا ما رأينا أعرف الناس بمضار الخمر شاربها ، وبمضار القمار لاعبه . ولكن لو قال سقراط إن الفضيلة هى العقيدة ، لم أعرف وجها للرد عليه . فالعقيدة تستتبع العمل على وفقها لا محالة — قد ترى أن الكرم فضيلة ثم تبخل ، والشجاعة خيرا ثم تجبن ؛ ولكن محال أن تؤمن بالشجاعة والكرم ثم تجبن أو تبخل

العقيدة حق مشاع بين الناس على السواء ، تجدها فى السذج ، وفى الاوساط ، وفى الفلاسفة — أما الرأى فليس الا للخاصة الذين يعرفون الدليل وأنواعه ، والقياس واشكاله ، والناس يسيرون فى الحياة بعقيدتهم ، أكثر مما يسيرون بآرائهم ، والمؤمن بعقيدته يرى مالا يرى الباحث برأيه ، قد منح المؤمن من الحواس الباطنة والذوق ما قصر عن ادراكه القياس والدليل

الناس انما يخضعون لذى العقيدة ، وليس ذو والرأى الا ثرثارين لا يعملون ، عُنوا بظواهر الحجج أكثر مما عنوا بالواقع ، لا يزالون يتجادلون فى آرائهم حتى يأتى ذو العقيدة فيكتسحهم

قد يجود الرأى وقد ينفع ، وقد ينير الظلام وقد يظهر الصواب ، ولكن لا قيمة لذلك كله ما لم تدعمه العقيدة ، وقلّ أن تؤتى أمة من نقص فى الرأى ، ولكن أكثر ما تؤتى من ضعف فى العقيدة ، بل قد تؤتى من قِبَل كثرة الآراء أكثر مما تؤتى من قلتها

الرأى جثة هامدة ، لا حياة لها مالم تنفخ فيها العقيدة من روحها ، والرأى كهف مظلم لا ينير حتى تلقى عليه العقيدة من أشعتها ، والرأى مستنقع راكد يبيض فوقه البعوض ، والعقيدة بحر زاخر لا يسمح للهوام الوضـــيعة أن تتولد على ظهره ، والرأى سديم يتكون ؛ والعقيدة نجم يتألق ،

ذو الرأى يخضع للظالم وللقوى ، لأنه يرى أن للظالم والقوى رأيا كرأيه ، ولكن ذا العقيدة يأبى الضيم ويمقت الظلم ، لأنه يؤمن أن ما يعتقده من عدل وإباء هو الحق ولا حق غيره

من العقيدة ينبثق نور باطنى يضىء جوانب النفس ، ويبعث فيها القوة والحياة ، يستعذب صاحبها العذاب ، ويستصغر العظائم ، ويستخف بالأهوال ، وما المصلحون الصادقون فى كل أمة الا أصحاب العقائد فيها

الرأى يخلق المصاعب ، ويضع العقبات ، ويصغى لأمانى الجسد ، ويثير الشبهات ويبعث على التردد ، والعقيدة تقتحم الاخطار ، وتزلزل الجبال ، وتلفت وجه الدهر ، وتغير سير التاريخ ، وتنسف الشك والتردد ، وتبعث الحزم واليقين ، ولا تسمح الا لمراد الروح

ليس ينقص الشرق لنهوضه رأى ، ولكن تنقصه العقيدة ، فلو منح الشرق عظماء يعتقدون ما يقولون لتغير وجهه وحالَ حاله ، واصبح شيئا آخر — وبعدُ ، فهل حُرِم الأيمان مهبط الايمان ؟!

حيـــاة الانسان

للاستاذ بول جانيت

الاستاذ بالسربون

حياة الانسان منقسمة الى أربعة أطوار: الطفولة والشباب، والرجولة والشيخوخة. ولطالما اشتد الجدل وما يزال يشتد بين البشر لمعرفة أى هذه الأطوار يكون الانسان فيه أسعد حالا وأهدأ بالا وأشد تفاؤلا؟ ويلوح لنا أن الناس يجمعون أو يكادون يجمعون على تفضيل الرجولة على الشيخوخة، والشباب على الرجولة، والطفولة على الجميع، والحق الذى لا امراء فيه أن لكل طور من اطوار الحياة لونا من السعادة يناسبه ويلائمه، ولكل طور نظر الى الحياة مغاير.. وهب أن ليس هناك ماهو أهنأ من الطفولة المرحة فمن منا يود أن يظل طيلة حياته طفلا؟ فنحن الذين نغبط الأطفال هناءهم ونذكر فى أسى تلك السعادة البريئة الماضية التى تفيأنا ظلالها واحتسينا راحها ونعمنا بزنبقها وآسها أيام كنا أطفالا نرتع ونلعب، لنرمق فى حزن عميق أولئك التعساء الذين تطول بهم الطفولة الى غير نهاية، وإن سرورهم نفسه ليحرك فينا عاطفة الرحمة والاشفاق. نحن نرثى لهم لأنهم لما يلمسوا ماهم فيه من بؤس وشقاء، فهذه السذاجة التى يطول عمرها، وهذه الغرارة، وهذه الغباوة، وهذا الاستخفاف بآلام الغير ليبدو لنا أعظم الآلام. فليست السعادة منحصرة فى قيام لذة أو فى انعدام ألم، ولكنها فى استغلال القوى التى خص بها الانسان استغلالا مشرفا معقولا..!!

يجهل الطفل الحياة جميعها ولا تكاد تنصب رغائبه الا على التافه من الأغراض، ومع أننا نعجب بهذا الطور وماحواه من سذاجة ومرح وتدلل فنحن لانأسف عليه أسفاً حقيقيا، ولانرضى عن طواعية واختيار أن نستعيده ثانية. ويحب الشاب من الحياة مايحبه الرجل، ولكنه لايتبع سبيله، ولا يسلك مناهجه. ومعرفته وآراؤه قريبان من معرفة الرجل وآرائه، وليس الفرق بينهما عظيما كما نراه بين الطفولة والشباب. وميزة الشاب على الرجل أن رغائبه ماتزال فى نضارتها وقشوبها، فالمستقبل مفتر له باسط ذراعيه، والأمل لابد مالىء جوانب قلبه، وناشر على أحزانه النادرة طبقة من السرور على أهبة أن تسفر وتتلألأ، وإذ لاعهد له بعقبات الحياة وتكاليفها، فهو أبداً سخى وشجاع، ولما لم يكن قد خدع إلا نادراً كان ناصح الدخيلة، سليم الطوية، يصدق الرواة ويثق بالظروف، ولما كان عمله فى المعهد أو المصنع لايتجاوز بضع ساع من النهار كان لديه وقت من الحرية والفراغ طال أو قصر يتسنى له خلاله أن يتذوق لذة الاستقلال قبل أن ينوء به عبء التبعة... غير أن زمن اللذة قد ولى وأدبر وبدأت حياة الجد والكفاح، وحتى فى هذا الوقت لم تكن آراء الشباب إلا قضايا عقل وخلجات نفس ينبغى أن تستحيل الى عقائد وقيود! كان ميله هوى، وصداقته مسلاة، وحبه تلهية من تلاهى الخيال قبل أن يكون حاجة من حاج القلب وضرورة من ضروراته. وكانت علاقاته بالعالم لذة لحظة أو ملال لحظة، ثم استحالت الى سلاسل وأغلال لايستطيع المرء أن يتحرر منها دون خطر. ثم تتجمع حول الرجل الكامل المنافع والغايات والحاجات والمنافسات. وتحيط به وتنبسط أمامه فلاة بلقع ليس فيها سوى أهراس وعواسج ومهاو، وقد كان الشاب لايرى فيها إلا سهولا منبسطة تغطيها رياض بها أطيب الزهر وأشهى الثمر! كل هذا حق، وهل يمكن أن يقال أكثر من هذا فى مدح الشباب وذم الرجولة؟ ولكن لم خلق الانسان؟ خلق ليكون رجلا يكافح ويناضل، أما السلام فليس من أطوار هذه الحياة، إن نشدته وجدته أبعد من الفرقدين واعسر من رد أمس الدابر. إن هذه الحياة جهاد ونضال، وحرى بالرجل أن يكون كالربان فى بحر تحفه الأهوال، وليس أدعى الى السخرية من شاب فى سن الرجولة أو فى سن الشيخوخة مثل ذلك الشاب الأبدى يدعو الى حزننا ورثائنا، وليس الذى نرثى له من أجله هو ذلك التناقض المادى والمعنوى، أو الجسدى والروحى فى الشخص الواحد، ولكن ذلك النقص المعيب والخمول المزرى، وتلك القوة المعتلة ثم ذلك الوقار الضائع والأهلية المفقودة.. كل هذا ليس إلا ضعفاً هرميا قبل الأوان، فالطبيعة تثأر لنفسها بشيخوخة مبكرة طافرة مع من لم يعرف كيف يتلقاها ويرحب بها ويتأهب لها وهى تدنو منه فى رفق وتريث واتئاد...

يبذ الشاب الرجل ببهجته ونضارته وجماله، أى يبذه بشىء ليس إلا عرضا زائلا، وغثا باليا، وزينة أحرى أن تفاخر بها المرأة. ويبذه الرجل بقوته واحتماله، وعلمه وحزمه ووقاره. يريد الرجل فيعمل، وينتوى فينفذ، ويعد فيصدق، ويكافح فلا ينثنى له عنان ولا تلين له قناة. ويقف الشاب من مسرح الحياة موقف المتفرج بينما يلعب الرجل فوقه دوراً تافها أو عظيما. ولربما تطلب أتفه الأدوار جهداً فوق الذى يتطلبه أعظمها، فعول أسرة أشق غالبا من تأسيس مملكة..

يجهل الطفل شئون الحياة ، ولا يكاد يعرف منها كثيرا ولا قليلا ، ويعرفها الشاب أو يعرف منها الكثير فتستهويه وتستميله ، غير أنه لا يساهم فيها ، ولكن الرجل يمتزج بها ويحاول أن يغيرها تحنكه التجارب وتوقره الحوادث ، ويروضه الزمان ويثقفه الجديدان ، وتشحذ قوته العقبات . وتعلى مكانته التبعات ، وتوقظ مشاعره الآلام النبيلة ، والعبرات الصادقة . . هذا عصر الانتاج المثمر ، والكفاح المجدى ، والعزائم التى تولد من عناصر الضعف قوة ، ومن ظلام اليأس نور أمل . هذا عصر القيادة والزعامة والابتكار ، هذا عصر المجد والنور بل هذا عصر الانسانية الحقيقى ! !

فى الطفولة عذوبة وسحر ، وفى الشباب نضرة وجمال ، ولكن كليهما ليس فيه غناء ، لا لصاحبه ولا لوطنه ولا للانسانية جمعاء ، فالأطفال والشبان يعيشون فى هذه الحياة كلا على الرجل ، فالرجولة وحدها هى التى يؤمل لها أن تبلغ الغاية القصوى ، والمثل الأعلى ، وهى التى يحق لها أن تطمح الى الخلود إن كان لشىء فى هذه الحياة خلود ! !

* * *

أما الشيخوخة فهى كانت مدعمة بالرزانة والحزم ، ومجردة من الهوى والاثم ، وكان معها توبة من الذنوب وإقلاع عن المعاصى أضحت للذابل طلا وندى ، وللفائت ترجيعاً وصدى ، وما أشبهها بأصيل يوم ربيعى رق وصفا !

لينس الشيخ المعمر لحظة ما وسع من أحزان وآلام ، وما ابتلى به من أوصاب وأسقام ، وما نزل به من خصاصة ، وما حضره من إملاق ، وما لقى من عنت وإرهاق ، وما صادفه من تعثر وإخفاق ، ولينس مع هذا وقبل هذا أن قناته قد أعوجت ، وأن عظمه قد وهن ، وأن الدهر عاضه من نضارة عوده ذبولا ، ومن سواد عذاره قتيراً ، وإن استطاع فلينس أيضاً أنه متى حان حينه طوى بساط عيشه ، ووافاه حمامه فكحله بمروده ، ولفه فى مئزره ، وانتزعه من بين إبنة له وابن ، ووالدة وخدن ، وصاحبة وناى ودن ، ليواريه فى حفرة قد ضاقت مساحتها وأحلولكت جوانبها . . . فان فعل ، وحرى به أن يفعل ، فثم قصيدة فيها سحر وجمال ومتاع سوف يخلقها له خياله . . قصيدة تبدأ بألاعيب الطفولة المرحة الطروب يتضوع منها شذا الوداعة والعذوبة والايناس ، ويفج منها نور السذاجة والبراءة والعفاف ، ويغرد من فوقها البلبل والورقاء والحسون ! ! وتتصل بها آمال الشباب وأمانيه وأناشيده وأغانيه وتأملاته (١) ونجواه ولياليه (٢) ولياله ... ثم تعقبها الرجولة بما أخذت من تبعة وإحتمال ، وما اضطلعت به من أعباء ثقال ، وما بذلت من جهد ونضال ، وما ذللت من عقبات ، وما جابت من فياف وقفار ، وما قضت من لبانات وأوطار ، وما نالت من مجد وفخار ، وما نعمت به من زوج وولد وصحاب ، وما احتملت من وقدات الهجير ولفحات الزمهرير فى طلب رزق أو استجلاء سر ، أو ذياداً عن وطن . وتختمها الشيخوخة وقد توســـدت الراحة وأخلدت الى الدعة واعتصمت بالحلم والأناة وارتسمت على وجهها آيات الرضا ، وانبعثت من مقلتها أشعة الهدى . فراحت تتفيأ ظلال الذكرى ، وكأنها فى سنى الطفولة والشباب والرجولة تحيا ! !

ترجمة رسلان عبدالغنى البنبى

(١) يشير الكاتب الى تأملات لامرتين

(٢) الليالى هنا للشاعر الفرنسى دى موسيه

الموســـيقى فى مصر

للأستاذ محمد كامل حجاج

لاريب أن الموسيقى من أعظم الفنون الجميلة التى أصبحت من الضروريات عند كل الطبقات ، وقد بلغت أوجها عند الأمم الراقية ، وتمشت مع التمدن حتى أصبحت معيار المدنية والرقى

الموسيقى الراقية كالشعر بل هى متممة له ، لأن كثيراً من الحالات النفسية العميقة لا يستطيع الكلام أن يعبر عنها ، وإنى أضرب لك مثلا سهلا :

إذا قرأت أمام أمىٍّ جاهل مرثية من أروع الشعر الجاهلى فهل يظهر عليه أى تأثر ؟

أعد الكرة أمام الرجل نفسه وأسمعه مرثية موسيقية راقية فلا ريب أنها تهزه وتحزنه حتى تقرأ علامات الحزن على وجهه ولربما لا يقوى على ضبط نفسه فيتأوه أو يخونه الدمع إن كان رقيق الشعور .

إن لم تكن الموسيقى واصفة ومصورة لكل ما تقع عليه العين من محاسن الطبيعة ، ومعبرة كالشعر عن اسمى العواطف وأرق الشعور والوجدان ، فأولى بها أن تسمى لغطا وجلبة تصدع الرءوس وتسئم النفوس .

لقد اهتمت مصر بالعلوم والآداب والفنون وأحرزت نصيبا يقارب الضروريات ، ولكنها متقهقرة فى الموسيقى . ولم نر واحدا من أبناء الأغنياء أولع بهذا الفن وحاول أن يدرسه دراسة تامة تؤهله لخدمة الموسيقى والنهوض بها الى أوج الكمال . ولا يتأتى بلوغ هذه الغاية إلا بدراسة الموسيقى الأفرنجية ، ثم العربية مع نصيب

كاف من الثقافة العامة ولاسيما الآداب وتاريخ الفنون الجميلة، لأنهما يثقفان الذوق ويشحذان الخيال ويرهفان العواطف

اننا بدراسة الموسيقى الافرنجية بفروعها من سولفيج وأرمونى وكونتربوان وتوزيع الموسيقى على الآلات نتمكن من إتقان الأملاء الموسيقى بأن نكتب موسيقى الدور أو القطعة بمجرد سماعها، ونرقى فى التلحين إذا نبغنا فى الارمونى واستطعنا أن نسترشد بها لوضع أرمونى تتناسب مع موسيقانا العربية. أما الكونتربوان فأنها تتمشى مع موسيقانا ولا تتنافر معها ولا تحدث فيها أية شائبة

إن موسيقانا لاتتعدى على الجملة: الضروب والمقامات، وهى لا تؤهل الانسان للتلحين ما لم يكن الموسيقار قد وهب استعدادا طبيعياً وموهبة فنية وذوقاً سليما كالشيخ سلامه حجازى وعبده الحمولى ومحمد عثمان، وبهم استرشد ومنهم اقتبس جميع ملحنينا العصريين

المشتغلون بالموسيقى فى مصر هم المحترفون والهواة وصبية رياض الأطفال وصبيات السنتين الاولى والثانية من مدارس البنات الابتدائية والجيش والبوليس والملاجىء وسنتكلم عن كل طائفة منهم

إن المحترفين من عازفين ومغنين ومنشدين وملحنين يقنعون بالوصول إلى درجة متوسطة أو دونها، وليس عند أغلبهم ميل الى الفن، والغاية التى ينشدونها هى كسب العيش بدرجة يغبطون عليها من القناعة

والهواة من الشبان يكتفون بحفظ بعض البشارف والسماعيات وجانب من المارشات والأدوار دون أن يهتموا بقواعد الفن وأصوله.

وأما الفتيات فأغلبهن يتعلمن منهاج المرحومة ماتيلدة على البيانو، ويقلقن به الجيران إلى ما بعد منتصف الليل، ولا يعزفن نوتة واحدة

ويستثنى منهم أفراد قلائل من الشبان والفتيات بلغن غاية عظيمة ويقولون دائماً هل من مزيد؟ ولكن لايتجاوز عددهم أصابع اليد

اغتبطنا حين رأينا مدة انعقاد المؤتمر الموسيقى أطفال رياض الأطفال ومدارس البنات الابتدائية يمثلون قطعا استعراضية تمثيلية غنائية فى غاية من الرواء والاتقان، ويمثلون أدوارهم برشاقة واسترسال ويغنون ألحانها غناء صحيحاً شجياً، وقد أعجب بهم أعضاء المؤتمر إيما إعجاب. ويسرنا أن نرى وزارة المعارف مهتمة بتنفيذ قرارات المؤتمر الذى أوصى بنشر التعليم الموسيقى فى المدارس الابتدائية والتجهيزية، إذ قررت الوزارة فى هذا العام تعليم بنات السنة الثانية من المدارس الابتدائية

أما موسيقى الجيش والبوليس والملاجىء فقد ترقت كثيراً فى السنوات العشر الأخيرة، ولاسيما موسيقى البوليس فأنها تعزف كثيراً من القطع الأفرنجية ومنتخبات الاوبرات المشهورة فضلا عن القطع العربية الراقية، كما أنهم أهتموا بتوحيد طراز آلاتهم حتى يكون فيها انسجام. وهم يعزفون عليها بلباقة وحسن تعبير ورقة لم تكن موجودة فيما مضى

وإنى أورد مثالين يظهران شدة الاهتمام بالموسيقى والتضحية العظيمة فى سبيلها

كلنا نعرف هكتور برليوز أعظم موسيقى أنجبته فرنسا، وكان فى أول أمره طالباً فى مدرسة الطب، وكان أبوه طبيباً فلم يجد الولد فى نفسه ميـــلا الى الطب ورجا والده أن يدخله فى معهد الموسيقى فرفض وهدده بقطع مرتبه، ولم يستطع الابن أن يستمر فى الطب فدخل الكونسرفاتوار، فما كان من والده إلا أن قطع مرتبه، فاضطر أن يعطى دروساً موسيقية بفرنك واحد للدرس، واستمر فى دراسته وهو يغالب الزمن للحصول على قوته حتى نبغ، وهو الذى ابتدع الرومانتيزم فى الموسيقى فى فرنسا

والمثال الثانى يبين لنا اهتمام الهمج بالموسيقى بدرجة لا تجدها فى المصريين

كنت فى صغرى أقضى عطلة المدارس فى قريتنا بين أهلى، وكان منزلنا فى ربوة عالية تشرف على جميع القرية، وكان فى الحى الذى يلينا بيت تسكنه فئة من العبيد يحيون الليل جميعه فى الغناء والعزف والرقص الى أن تطلع الشمس، ثم يذهبون الى عملهم وهو التجوال فى القرى لجمع (البجم) من أشجار الاثل بقصبة طويلة بطرفها شص كبير وهو يستعمل فى الصباغة

كنت فى الصغر طلعة أحب الوقوف على كل شىء، وكنت أرقب هذا البيت الصادح الباغم من الأصيل بمنظار، فكنت أرى النساء يكنسن فناء الدار ثم يرشونه ويفرشون الحصر ويصفون الآلات الموسيقية من دلوكات وطبول مختلفة الأنواع والكستلوفون الفطرى المصنوع من قطع الخشب الرنانة المختلفة الاحجام، والكيزان الصفيح المحشوة بالحصى الصغير يحملونها فى أيديهم ويهزونها لتحدث (دوكة) مخصوصة وقت التوقيع. وحينما يقبل رجالهن بعد الغروب يهيئن لهم ثريد العـــدس، ثم نصف أقداح البوظة، ثم يدخنون ويتسامرون ساعة الى أن يأتى وقت الموسيقى فينشطون لها ويأخذ كل منهم آلته الموسيقية ويتهيأ الباقون للرقص والغناء، ويستمرون فى لهوهم الى مطالع الشمس دون أن يناموا، ثم يذهبون الى عملهم ويقنعون بأن يقيلوا ساعتين بعد الغداء فى ظل شجرة

إن الموسيقى الشرقية كنز زاخر بالجواهر واللآلىء واليواقيت، ولكننا لا نعرف كيف نستخرجها ونبريها بذوق سليم حتى تليق لان نزين بها تيجان الملوك. إن للموسيقى العربية مائة نغمة (مقام)

أو كثر من مائةوزن (الضروب) ولكن اين النابغة المثقف الذى يحسن التأليف والتلحين

إن بعض الملحنين ينزعون فى تلحينهم الى اختطاف الحانهم من الالحان القديمة، ثم يخلطونها بشيء من الموسيقى الافرنجية المنحطة التى تسمعها فى افقر المقاهى الافرنجية ويظنون لسذاجتهم انهم جددوا الفن ونهضوا به، وما دروا أنهم شوهوه وفضحوه وهذا جرم كبير لايغتفر، عيرنا به كثير من المستشرقين

كانت الموسيقى المسرحية قد خطت أول خطوة فى سبيل النجاح، ولكن القائمين بامرها لم يحسنوا ادارتها، وكان ينقصهم الحزم والتدبير والذوق الفنى، فلذلك فشل المشروع فى عامه الثانى واستمرت الموسيقى المسرحية فى التمثيل الهزلى، والحمد لله قد نشطت هذه المسارح وسارت فى سبيل الرقى لولا مايصادفها من عقبة لم تذلل وهى ندرة المطربين والمطربات الحائزين للاصوات الجميلة القوية الرنانة والثقافة الموسيقية الصحيحة

اننا معشر المصريين مقصرون فى تجميل بيوتنا وانعاشها بالفنون الجميلة حتى نسكن اليها بعد عناء العمل، ونجد فيها من وسائل السرور والانس ما ينسينا آلامنا وينعشنا ويجدد قوانا

نجد الاسر الافرنجية تهتم بتعليم أبنائها الموسيقى، وتعنى ربة الدار بنظام الحديقة وتنسيقها حتى تصبح جنة مصغرة ترتاح اليها النفوس المتعبة، وفى المساء تجتمع الاسرة فتحيي حفلات موسيقية ترقص لها القلوب وتنسى فيها الهموم والآلام

أما بيوتنا التى تجردت من جميع مظاهر الجمال والانس حتى نفرت منها النفوس ولم يطق الابناء أن يطيلوا المكث فيها فينصرفون الى المفاسد من تجوالهم ومعاشرة ذوى الاخلاق الضعيفة فلا يلبثون أن تتسرب اليهم عدوى الرذائل ويضحون فى عداد الحشرات المؤذية

إن الموسيقى لغة القلوب ومهذبة الاخلاق، ومرققة الطباع ومبددة الهموم والاشجان، وخير لنا أن نهتم بها فى أوقات فراغنا ونسعى فى رقيها حتى نعيد عصر زرياب واسحق الموصلى

فى حرم

الجامعـــة المصرية

تقع مكتبة الطالب لمنشئها ومديرها الأستاذ خطاب عطية B. A من الجامعة المصرية، لمبيع الكتب الافرنجية والعربية، علمية وأدبية وقانونية، وبها قسم للمجلات والأدوات الكتابية

مستقبل الانسانيـــة

للكاتب الاجتماعى ه. ج. ويلز H. G. Wells

تحليل وتعليق شهدى عطيه الشافعى

كان عجيبا حقا أن يتخرج ويلز فى كلية العلوم الملكية حيث الهندسة والجبر والميكانيكا ليصبح روائيا له مكانته العالمية.

وكان غريبا وهو رجل العلوم والرياضيات ان يتخطى السنين فيحلق على أجنحة الخيـــال ليكتب عن القمر وسكانه والمريخ وسبيل الوصول إليه. ثم يهبط الى الأرض فيوجه الى المجتمع الحديث بما فيه من نظم واوضاع قارص النقد وشديد اللوم. تثقف ويلز ثقافة علمية صحيحة، وامعن فى القراءة لداروين وآمن بنظريته فى النشوء والارتقاء ايمانا لايتطرق اليه الشك. وتتبع محاضرات هكسلى تلميذ داروين بشغف لامزيد عليه. والتهم معظم مؤلفات سبنسر. وكان اعجابه شديدا بوليام جيمس عالم النفس المعروف والفيلسوف التجريبى.

..... ولكنه مع كل هذا كان رجل الخيال الرائع والاحلام الذهبية قبل أن يكون رجل المعضلات الحسابية والنظريات الهندسية، وكان لابد أن يتضارب الخيال مع الواقع. وإن تتناقض الدروس التى تلقاها فى علم الكائنات الحية وغرامه بالراويات والقصص.

ولكن ويلز كان عقلية خصيبة من هذه العقليات التى تهضم كل شيء حتى لتستطيع ان تمزج الخيالات والحقائق، وتخلط التشريح والعواطف، وتوفق بين الروح العلمية والروح الشاعرة.

ولذا تجده فى كتاباته يحيطك بشباك من حقائق علمية لايمكنك انكارها. ثم يحرك فى رفق وهوادة الى أشد ضروب الخيال اغراقا فى الخيال، واكثرها بعداً عن العقل، ولكن لايسعك إلا أن تسلم بما يقول وتوقن بما يكتب.

إن الانسان بكل مافيه من جمال وكل ماوهب من عقل لم يكن يوما من الأيام إلا قردا ممسوخا لاجمال فيه ولا عقل له.

هكذا كانت الصيحة التى فوجيء بها البشر من فم رجل قبيح الوجه عرفه الناس باسم داروين.

ولم يكن فى هذه الصيحة من جديد. فقد سبقه اليها العالم «لامارك» ولكن داروين زعم ان هناك سنة للحياة لامحيد عنها. وقانونا صارما لاسبيل للهروب منه: هو قانون تنازع البقاء.

فهذه الحياة تضطرب بملايين من المخلوقات تتباين في نموها وتختلف في تركيبها، ولكن لاتلبث الحياة ان تضيق ذرعابها فتقدر لها ان تشتبك في قتال وحشي، ثم لايبقى منها حيا إلا اقواها وأصلحها.

وإذا كانت القرود قدتمخض عراكها عن انسان يسود اليوم وجه الارض. فاي مخلوق جديد سيكشف لنا عنه الغد! تساءل تملك ويلز تملكا قويا وكان محوره: والى اين هذه الانسانية؟ وأي فئة من البشر مقدر لها البقاء؟ وأيها محكوم عليه بالفناء؟

ولقد زعم ويلز انه مستطيع ان يهتك اللثام عن وجه هذا الغد المجهول فيصور لنا تصويرا دقيقا رجل المستقبل، جسمه وعقله ونفسيته والمجتمع الذى يعيش فيه!

ولكنه كان في كتابته حذرا. فهو يستند دائما الى الحقائق الثابتة، ويسترشد بماضي التطور الانساني، ويعتمد على مجريات الحوادث. مما رفع به إلى مصاف كبار المفكرين. وجعل لرواياته الشيقة صبغة علمية محترمة.

فتراه يدرس الماضي ويحاول ان يستشف منه المستقبل، يستنتجه استنتاجا ومقدماته في ذلك فروض علمية صحيحة.

واليك مثلا هذه المحاولة الكبرى من جانب الانسان في سبيل التحرر من قيود الطبيعة. فها هو قد فك عن نفسه الثقل الذى يربطه الى سطح الأرض فارتفع في الهواء. وهاهو قد تغلب على مضطرب الامواج، فامتطى البحار، وعلى صعب الأرض فشق في جوفه المسالك والطرقات.

واذن فمن الطبيعي ان يستمر تطوره في هذه الناحية قويا. فهو لابد يوما متخلص تخلصاً تاما من جاذبية الأرض ليصعد إلى القمر وليسبح منه الى المريخ وليهبط منه إلى زحل!

وما دام الانسان قد استغل بعض عناصر الطبيعة من كهرباء وبخار فسخرها في إدارة آلاته وتسيير قاطراته، فليس عجيباً الا يدع عنصراً الا استخدمه غير تارك في ذلك موج بحر أو نور شمس أو حرارة في جوف أرض.

وما دام البشر قد تغلبوا على بعد الشقة وطول المكان بما أوجدوه من سريع الطيارات، فليس بعيدا أن يخترعوا آلة يتحكمون بها في الزمان. ماضيه ومستقبله.

فلا يرتبط رجل الغد بزمان أو مكان. قد يكون في شرق الأرض، فاذا به في غربها. قد يكون في السنة الحاضرة فاذا به قد تركها ليعيش في الماضي السحيق أو المستقبل البعيد.

ولن يرضيه وقد تخلص من قيود الطبيعة أن يستمر أسيراً لاغلال الجسد. فهو يركب غذاء يتمكن به أن يكون له من الجسم جباره ومن العضلات مفتولها، فلا يصيبه وهن ولا تعتوره شيخوخة.

وهو بتقدم الطب، وبقليل أو كثير من الرياضة يستطيع أن يتحكم في أعضاء جسمه. فلا يبقى منها على عضو لا فائدة فيه، ولا يدع عضواً نافعاً إلا قواه. فمعدته التى تجر عليه أمراضا يحتاج لعلاجها الى ألف طبيب وطبيب. لابد متخلص منها إلى معدة صناعية تقوم بوظيفة الهضم أحسن قيام! وأنفه هذا الذى كثيراً ما يصيبه بالزكام يجب أن يستبدل به أنفا حديديا لا يتطارق اليه برد ولا تنزف منه دماء!

وهو قد يضايقه الخضوع للنظام الجنسي فتلهمه عبقريته طريقة للتناسل عن طريق غير طريق المرأة فلا يحتاج اليها ولا تحتاج اليه.

وطبيعي بعد هذا أن تختفي لديه تلك العواطف الرقيقة من حب وشفقة وحنو. فهي كلها مظهر ضعف لا يليق به، وهو لن يعترف إلا بالعقل يدين له وبالمادة يؤمن بها. وبالقوة يخضع لها أو يناجزها.

سيكون إنسانا جباراً بكل معنى الجبروت، عظيم الخلقة، شديد الذكاء، قوى الارادة، لا عواطف له ولا قلب. ثم لامكان له ولا زمان. لايعرف النوم، ولا يفهم الكلال، ولا يصيبه المرض(١)!

ثم ينتقل بك ويلز الى رسم لا يقل غرابة لحالة المجتمع الذى يمكن أن يعيش فيه البشر غدا.

ولكنه يتأثر في هذا بآراء ماركس. وماركس هو هذا الألماني الذى زعم أن المال يتجمع في أيدى أفراد قلائل يتمتعون بأطايب العيش، بينما هناك ملايين من العمال محرومون لا يكادون يجدون ما يتبلغون به. ثم تنبأ بثورة هائلة تقوم بها الغالبية الساحقة من الطبقات الفقيرة يذبحون فيها الاقلية الضئيلة من أصحاب رءوس الأموال.

وبذا يسدل الستار عن مأساة كبرى قد تكون خاتمة الحياة الانسانيه أو بدء حياة جديدة هانئة سعيدة.

---

(١) قد يلذ لك الاطلاع في هذه الناحيه فعليك بالرجوع الى كتب ويلز الكثيرة نذكر منها:

حرب العوالم	The war of the worlds
آلة استكشاف الزمان	The time machine
الانسان الخفى	The invisible man
أول الرجال في القمر	The first men in the moon
طعام الآلهة	The food of gods
الحرب في الهواء	The war in thr air

وقد كان لهذه النظرية أثر عميق فى كتابات ويلز عن مجتمع المستقبل. إلا أنه ذهب شوطاً أبعد، فزعم أن الفروق بين العمال وأصحاب رءوس الأموال ستتسع فلا تقتصر على نوع المعيشة بل سيتناول الجسم العقل فينقسم البشر طائفتين متنابذتين متفاوتتين. طائفة قوية جبارة تسمو إلى أكثر ما يمكن أن يسمو اليه إنسان، فتكون نوعاً بذاته له مميزاته. ثم طائفة أخرى تنحط إلى أقصى حدود الانسانية. مكانها تحت الأرض. وعملها آلة تديرها، ويكون من نتيجة المعيشة التى تعيشها أن يتكيف عقلها فيصبح قاصراً محدوداً ويشوه جسمها فلا يصير قادراً إلا على حركة واحدة يأتيها.

ويشتد هذا الاختلاف وضوحا. ويقوى هذا التباين ظهوراً، حتى تختفى أوجه الشبه بين الفريقين فلا تمازج بينهما ولا تزاوج ولا عاطفة هناك ولا علاقة. اللهم إلا تحكم قوى فى ضعيف.

وهنا يتردد ويلز كثيراً. فهو لا يملك الا أن يتساءل. أهذا هو الفصل الأخير من رواية الانسانية؟ أم ذلك بداءة لثورة يثورها سكان ماتحت الأرض يحاولون فيها تخلصاً من ربقة العبودية الثقيلة؟

ويتحدث ويلز عن هذه الثورة ولكنه يتهرب من التكهن بنتيجتها الحاسمة، فهو فى شك وأنت تعجب لهذا الشك. فكيف يمكن لقوم قد هزلت أجسامهم وضعفت عقولهم أن يصمدوا لطائفة لها من العقل أرقاه ومن الجسم أقواه؟

ولكن ويلز يعود فيعطيك صورة أخرى لهؤلاء الجبابرة من رجال الغد. فهم بعد أن استكشفوا مافى السموات والأرض وبعد أن تسنموا الرقي حتى قمته لا يجدون ثمة عملا يعملونه، أو معضلة يفكرون فيها، أو شاغلا يصرفون فيه ذكاءهم، فيلجأون الى الرفاهية والتهتك ينهلون منها الكأس حتى الثمالة. والى الترف والخلاعة ينسون بها ما قد يلحقهم من سأم قتال، فتخبو ملكاتهم وتضعف قواهم وتنحل عظمتهم.

ولا شك أن حرباً تقوم بينهم وبين عمال الأرض السفلى هى حرب سجال!

***

لا يسعك وأنت تقرأ لويلز إلا أن تنسى نفسك فتتحمس اذا ما تحمس وتضحك معه اذا ما ضحك، وتتشاءم لتشاؤمه. وينسيك اعجابك بالقصة وبغرابة أفكارها وروعة خيالها. ينسيك موطن الضعف من ويلز.

فهذه الصور التى صورها عن التطور البشرى صور مغرية فيها بعض الحق وناحية من الصواب، ولكنه ليس كل الحق ولا معظم الصواب.

فهو قد تجاهل عاملا هاما له أثره الخطير. تجاهل هذا التوازن الدقيق الذى نشاهده فى قوى الطبيعة. فلا يرتفع جزء من الارض إلا انخفض جزء، ولا يهدم بناء الا وقام بناء ولا يتشقق صخر إلا التأم آخر.

وهكذا لا يمكن أن يقوى العقل الانسانى إلا على حساب الجسم ولا تتاح للعضلات أن تضخم الا إذا فقد العقل بعض قوته. وهذه الصورة التى أعطاها ويلز عن انسان الغد مبالغ فيها اذ يختل فيها التوازن اختلالا واضحا.

فهاهو الانسان انسان منذ العصور التاريخية وليس هناك من يزعم أن مقدرة العقل الانسانى أو قوة جسمه قد زادت زيادة تسمح لويلز أن ينسب لرجل الاجيال القادمة قوة عقل خارقة يصحبها قوة جسدية لا حد لها.

وهذا التوازن ينساه مرة أخرى فى الصور التى يبدعها عن مجتمع الغد. فنظرية ماركس القائلة بأن الثروة مصيرها الى التجمع فى أيدى نفر قليل، والتى أخذ بها ويلز نظرية لا يتاح لها أن تتحقق. فالثروات اليوم تتجه إلى التوازن، وعامل اليوم يساهم فى الشركات التى تقوم عليها الأمور. والمال يتبدد ويتوزع بين الأفراد، والأزمات المتلاحقة تهد من كيان بيوت المال الضخمة، ومن كبار الأغنياء أكثر مما تقلل ثروة الفقير أو العامل الأجير.

لذلك نأبى تصديق ويلز فيما ذهب اليه من أن الانسانية قد تنقسم طائفتين متباينتين. بل نرى عكس ذلك، فالعامل فى رقى عقلى يساعده مايجد من ساعات فراغ كان لايجدها بالأمس، ويعاونه اتساع مجال الثقافة وانتشار التعليم انتشارا سريعا.

ثم ان الفروق الاجتماعية فى طريقها الى الزوال، فالكل قد تساووا اليوم فى الحقوق والواجبات، والكل قد يتساوون غداً فى العلم والثروة ونظام الطبقات الذى كان يضع فواصل من حديد بين الشريف والحقير هو فى سبيله الى الانهيار ان لم يكن قد أنهار منذ زمان

ثم شيء آخر نوافق عليه ويلز ونخالفه فيه، نوافقه على ما يكتبه من تطور الانسان الآلى وتقدمه فى اخضاع عناصر الطبيعة. ولكننا نخالفه فى أن هذا التطور قد يتجه بالانسان الى ناحية مادية لا يخضع فيها الى قانون ولا يؤمن بدين ولا يعترف بخالق. ان ناسا كهؤلاء لا يستطيعون مكثا فى الأرض ولا مضيا. فهم بماديتهم وجشعهم واسفافهم الخلقى لابد متقاتلون، متناجزون، فلا يبقى فرد منهم فردا.

ولا تحسب أن هذه الملايين من السنين التى مضت على تاريخ البشرية ستنتهى الى مخلوقات ويلز البشعة. فنحن نؤمن أن الطبيعة التى طورت القرد الى انسان حسن التكوين، متناسق الصورة قوى

شخصيـــة . . .

« لقد سئمت أن أكون على الدوام رجلا عاقلا »
« أوليفر جولد سميث »

يتكلف الصدق فى ابريل ليصدقه الناس حين يكذبون العالم بأجمعه ؛ ثم يطلق نفسه على سجيتها باقى شهور السنة ، فيكذبه الناس حين يصدقون العالم بأجمعه .

وهو يحاول قدر طاقته أن يصوغ حقائقه المكذوبة صياغة صادقة ، ولكن مقدرته الفنية على ذلك ليست كبيرة وإن كانت فى نظره ، ومن غير تصريح ، عظيمة بالغة ! !

وأؤكد أنه لو شك يوماً فى مقدرته على سبك الأكاذيب ، لخجل ، وكف ، واتزن .

ولكنه لأمر ما ، غريزى ولا شك ، يَكذِبك دون أن يشعر أنه يكذب حقا ، أو هو يتصور من فرط عنايته بالصياغة أنه يَصْدُقك حين يتكلم اليك . أستطيع أن أفهم هذا من أنه يتألم إذا اتهمته بالكذب ، ويغضب لكرامته غضب من يروى لك خبراً صادقاً وأنت تشك فى روايته .

وهو يواجه الناس بمقدرة عظيمة على دفع اتهامهم اياه ، وينبرى لهم ليرد عن نفسه سيل الانتقاد الجارف . وهو بارع فى مواجهته لأكثر من شخص فى الوقت الواحد .

وهو إذ يروى لك رواية ، يهذبها قبل أن يلقيها اليك بقدر ما تسمح مقدرته على التهذيب ؛ ثم هو يعود فيتدارك ما قد يكون فيها من تنافر وتضارب مع بعض الحقائق التى قد تسارع الى رأس سامعه ، فينتظر ريثما يفهم نوع استقبالك لحديثه واستساغتك له ، فاذا لم يكن بد من الاستدراك ، سارع الى الاعتذار بقوله : « إننى لم أحسن التعبير » ثم يروح يفكر ، ويفكر ، ويزيد على الاعتذار السابق قوله : « إننى أقصد بالضبط أن أقول كذا وكذا »

وأنت مضطر الى أن تقبل الاعتذار عن ضعف التعبير أولا ، ثم عن ترقيع الرواية ثانياً ، لأنه صديقك ، وللصداقة حقها . ثم لسبب آخر غير الصداقة إذا كنت ممن يرون الحياة ثقيـــلة إذا ظلت دائبة على الصدق ، وتحرى الحقيقة . . ففى الكذب متسع عظيم للخيال الشارد والخيال المتزن ، وفى الصدق تحقيق وتدقيق ، وأخذ بأسباب الحقيقة ، والحقيقة لا تتعدد ، وصاحبنا من أنصار التنويع والتعدد ، فهو بما يخترع من الروايات ، وما يلفق من الأحاديث ، ينتقل بك من الجد الثقيل على النفس إلى جد آخر ، من صنعته هو ! بلغ فيه عنده حد الابداع فى السبك وحسن الأداء ؛ فاذا ضيقت عليه المسالك ، وأخذته من كل ناحية ، وأعملت المنطق فى قضاياه ، وسلطت الحقيقة المرة على خياله الحلو ، انحسرت عن صاحبنا كل مسعفة من حسن الأداة وبراعة الحبك ، وتخلت عنه فجأة شياطين الأكاذيب التى اعتادت أن تواتيه بالهام كلما استلهمها ، وفزع اليها .

والحق أن تلك الشياطين كانت أطوع له من بنانه ، فلم تكن تشعر أن هناك فترة تمضى بين ضراعته اليها فى أحرج مواقفه وبين استجابتها لضراعته ، حتى لتكاد تعتقد أنها كانت تلازمه أينما ارتحل ، متحفزة لكل نداء ، متأهبة لكل تلبية .

وإن أعجب من شىء ، فليس ببالغ عجبى من هؤلاء العباقر ، ومن اجتماعها على خدمة هذا الرأس الصغير المستدير ، ومن

الشعور ، طبيعة فنانة ذكية عاقلة ! وليست هى مجموعة من المصادفات الهوجاء .

ونحن نظن أن الانسانية التى كانت تسير على غير هدى بالأمس قد أصبحت اليوم شاعرة عاقلة تحس نفسها وتتساءل عن مصيرها ، ولقد شارفت الأفول شمس هذا اليوم الذى كان يسير الناس فيه عميا لا يبصرون ، ويخضعون ويتألمون ولا يدرون ، لماذا يتألمون . وسيغرب هذا اليوم ليشرق غد عن انسانية أكثر استنارة ، وأقل حيوانية وانزع الى الكمال ، وأعرف بمواطن الضعف ، وبطرق العلاج .

هذا مايحملنا على الاعتقاد بأن هذه الناحية من كتابات ويلز الاجتماعى ليست بالناحية الخالدة وان كانت هذه الناحية هى التى برز فيها واشتهر باتقانها .

لقد طرق ويلز موضوعا آخر أبدع فى علاجه ابداعا لاشك أنه رافع اسمه الى الخلود .

وهذا ماقد يحدونا الى الكتابة عنه مرة أخرى ؟

شهدى عطيه الشافعى
بكالوريوس آداب

مقدرتها على تأليف الصور من الشتات المتنافر ، وتركيب الأخيلة من الحطام المتناكر ؛ ثم من عجزها وتخليها فجأة عن النهوض بأعباء المهمة التى أرسلت لها ، حين تهبط ملائكة الحق لتنقذ الموقف . . . فيتعذر إذن أن يجتمع ملاك وشيطان .

فاذا انجابت عن صاحبنا شياطين أكاذيبه ، دق موقفه ، وتحرج ، فقال على محدثه يلتمس عنده المعذرة عن هذا الموقف المتجرد — لا بالقول بعبارة الأسف المألوفة — بل بالانضمام الى محدثه دفعة واحدة ، ومشايعته فى رأيه ، وفى منطقه ، وفى حملته على هذه الأكاذيب الصريحة ! حتى لكأنهما يحملان معاً على شخص ثالث ! !

فاذا التفت اليه التفاتة ذات معنى ، تقلص وقطّب ، ثم هش بغتة ، واحمر ، ثم غاض الدم من وجهه ، وتهدلت شفته السفلى وغمغم ، فاذا دققت ، فهمت أنه يريد أن يقول مامؤداه : « وماذا على ؟ إنى ألفت الكذب ينجى فى كثير من المآزق »

وهذه هى خلاصة فلسفته التى يصارحك بها فى الوقت المناسب .

تردد يوماً ما فى قضاء أجازة قصيرة بين بلدته وبين القاهرة .

اعتزم أن يزور بلدته لأن فترة طويلة مضت دون أن يرى أهله وذويه .

واعتزم أن يزور القاهرة لأنه مل حياة الريف الرتيبة المملة ، وتاق الى حياة القاهرة الصاخبة بما تستحدث كل يوم من صنوف المسليات ، وأراد أن « يشعر بالحياة » على حد تعبيره .

فلما اعتزم السفر الى بلدته ، كلف بأمر من الأمور التى تمت الى حياة القرى بصلة .

فلما اعتزم السفر الى القاهرة كلف من صديق له بأمر من الأمور التى لا يسهل قضاؤها من غير العاصمة . وحمل النقد الكافى لذلك .

ومضت الأجازة كأن لم تكن . وعاد صاحبنا إلى مقر عمله .

والتقى بمن كلفه مهمة البلدة فا بتدره بقوله : « أنا آسف جد الأسف ، لأنى قد مضيت الاجازة كلها فى القاهرة ! »

فلما التقى بالآخر كان لزاماً عليه أن يعتذر عن تقصيره ، فقال : « أرجو المعذرة إذ قد مضيت أجازتى كلها فى البلدة ، اذ وردتنى رسالة برقية فى آخر لحظة تستدعينى اليها على عجل لأمر عائلى » .

وكان يلذ لى شخصياً اصطناعه لهذه الأحاديث ـ أحياناً ـ فاكون فى نظره الصديق الذى ما بعده صديق ! وأكون أقرب شخص الى قلبه ، وأقرب فكر الى فكره ، ويكون منطق طبق الأصل من منطقه ! (كذا)

وأنا حين أكون هذا الشخص أجرى على حكمة أوليفر جولد سميث « لقد سئمت أن أكون على الدوام رجلا عاقلا »

ولكننى كنت أضيق بصاحبى ذرعاً ، حين كانت نزعة الحقيقة والعقل تغلب عندى على كل خيال حلو تنتجه قريحة صاحبى ، فأقف منه فجأة موقفاً يصفه هو بالعداء ، وأصفه أنا بتحرى الحقيقة والتزامها ليس غير .

فاذا بلغت الحال بنا هذا الحد من التحرج ، بحثت لصديقى عن هنة من هناته التى تمتُّ الى الكذب الصريح بصلة قريبة .

وحضرنى فى آخر موقف أن أعنفه على إهماله إرسال بطاقة (المعايدة) التى اعتاد الناس تبادلها فى العيد ، فابتدرنى بهذا السؤال :

— أليس عنوان بيتكم رقم ١٩ شارع . . . . ؟

— قلت نعم (متخابثاً)

— قال لقد أرسلت لك المعايدة على هذا العنوان .

— قلت وما رأيك اذا كان رقم منزلنا ١٦ لا ١٩ ؟

— فسكت صاحبى سكوتاً أشفقت عليه منه ، ومع ذلك لم يمنعنى اشفاقى عليه من أن أذكره بفلسفته الخالدة : « إنى ألفت الكذب ينجى من المآزق » ! ! !

— وسألته : إلى أى حد تنطبق فلسفتك على هذا المأزق ؟ . . وكيف خلاصك منه ؟ . .

ابراهيم ابراهيم جمعه
« ليسانسيه »

مطالعات فى التصوف

عوارف المعارف — ماهية التصوف — أصل كلمة صوفى

— ٣ —

لعل حظ كل من البابين الخامس والسادس من الأهمية والقيمة العلمية أكثر من حظ غيرهما . فهذان البابان يدلان دلالة واضحة مستقيمة لا لبس فيها ولا اعوجاج على ماهية التصوف وكنهه وعلاقته بالفقر والزهد، والفرق بينه وبين الفقر والزهد . هذا هو ما يتناوله الباب الخامس من كتاب عوارف المعارف فيما قدم لنا فيه مؤلفه من تعريفات متنوعة للتصوف . أما الباب السادس فانه يظهرنا على مسألة ليست أقل من سابقتها خطرا . ولكنها على العكس أبعد ما تكون أثرا فى اعانتنا على فهم التصوف وما مر به من أطوار فيما مستقبلا . وأعنى بها مسألة الاصل الذى صدرت عنه كلمة صوفى وتلك مسألة قد عرض لها مؤلف عوارف المعارف فى نهاية الباب الاول من كتابه فأشار اشارة موجزة الى أن هذه اللفظة لم تذكر فى القرآن وإنما تركت وذكر مكانها لفظ المقرب . وإذن فالمؤلف يفصل فى الباب السادس من كتابه ما أجمل فى الباب الأول . وهو يعرض علينا فى شىء من الاستطراد الآراء المختلفة التى رآها العلماء المختلفون فى الاصل الذى أشتقت منه هذه الكلمة . وهو ينتهى من هذه الآراء كلها الى الرأى الذى يلائم طبيعة الاشتقاق اللغوى من ناحية . ويدل دلالة صحيحة على طبيعة الصوفية وماهية التصوف من ناحية أخرى . وبالجملة يمكننا أن نقول أن هذين البابين من كتاب عوارف المعارف أقدر على اعطائنا فكرة عامة شاملة تستطيع أن تظهرنا على لب التصوف .

١ — ففى الباب الخامس يقدم الينا المؤلف طائفة من التعريفات اختلفت فى مبانيها واتفقت فى معانيها . وهو يظهرنا من خلال هذه التعريفات على ماهية التصوف والفقر والزهد . ثم هو ينتهى من هذا كله الى أن هناك فرقا بين التصوف من ناحية وبين كل من الفقر والزهد من ناحية أخرى . كما أنه ينتهى الى أن أساس التصوف وقوامه انما هو الفقر ولكى أكون لديك صورة صادقة لما اشتمل عليه هذا الباب لابد من أن أقف بك وقفة قصيرة تلم فيها بأهم التعريفات التى عرضها علينا المؤلف لتتبين منها ماهية التصوف :

(ا) قال رويم : « التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار . والتحقق بالبذل والايثار . وترك التعرض والاختيار . »

(ب) وسئل الجنيد عن التصوف ماهو . فأجاب بقوله : « ان نكون مع الله بلا علاقة . »

(ج) وقال معروف الكرخى : « التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق . فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف » .

وبعد أن ذكر المؤلف هذه التعريفات ، تراه قد قدم لنا تعريفات أخرى للفقر والفقير اليك أهمها :

(ا) سئل الشبلى عن الفقر فقال : « ألا يستغنى بشىء دون الحق . »

(ب) وقال أبو الحسين النورى : « نعت الفقير السكون عند العدم . والبذل والايثار عند الوجود »

وانتهى مؤلفنا من هذه التعريفات التى قدمت ، الى ان هناك اشتباها بين التصوف والفقر . فانت ترى مثلا ان اشياء بعينها تذكر فى معنى التصوف يذكر مثلها فى معنى الفقر . وإن اشياء بعينها يرد ذكرها فى معنى الفقر يرد ذكر مثلها فى معنى التصوف . ومن هناك كان الاشتباه . ومن هنا أيضا كان لابد من التحقيق الذى يكشف الفاصل بين كل من التصوف والفقر ، والفرق الذى يميز ويحدد ماهية كل من التصوف والفقر ، وفوق هذا فان الاشتباه ليس قاصرا على التصوف والفقر فحسب وانما هو قد تجاوزهما الى التصوف والزهد . واذن فلا بد من التمحيص الدقيق الذى يبين الفرق بين التصوف والفقر من ناحية والتصوف والزهد من ناحية اخرى . بحيث نلمس الاشتباه الذى يمكن أن يكون بين كل من هذه الاشياء الثلاثة . ونميز الفرق بينها تمييزا يحدد كلامنا تحديدا من شأنه أن يحول بين اندماج بعضها فى بعض أو تشابه بعضها مع بعض .

فانت اذا انعمت النظر ودققت الفكر فى هذه المسألة تبين لك ان التصوف غير الفقر ، وان الزهد غير الفقر ، وان التصوف غير الزهد . وليس التصوف غير اسم جامع لمعانى الفقر والزهد باضافة صفات ونعوت لابد منها لكى يكون الرجل صوفيا . فقد يكون الرجل زاهدا وقد يكون فقيرا ولكنه ليس صوفيا . ولكنه لكى يكون صوفيا لابد له بين أن يكون زاهدا وفقيرا .

وليس التصوف زهدا أو فقرا باضافة صفات ونعوت فحسب ، وانما هو شىء آخر ابلغ وأروع من هذا كله واقدر على تهذيب النفس ، وتنقية القلب ، وتصفية الضمير ، هو كما قال ابو محمد الحريرى : « الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج عن كل خلق دنى .

وأهل الشام لايميزون بين التصوف والفقر . فهم يذهبون الى

الله وصف الفقراء بالصوفية . وإلى أن الصوفية سموا كذلك لانهم فقراء . ولكن مؤلفنا قد تناول هذه المسألة بالدرس والتحقيق فاوضح غامضها وكشف عن وجه الحقيقة فيها بحيث اظهر لنا في وضوح وجلاء الفروق بين التصوف والفقر . وأول هذه الفروق هو ان الفقير في فقره متمسك به، راض عنه، مطمئن اليه . وهو في هذا كله قانع بما سيجد عند الله من العوض . وهو كلما أمعن في التطلع الى هذا العوض ازداد اعراضا عما في الدنيا من اعراض زائلة وزخارف باطلة . وأما الصوفي فلا يرغب عن زخرف الدنيا وعرضها ابتغاء هذه الاعواض الموعودة ولكنه يفعل هذا من أجل الاحوال الموجودة . وثاني هذه الفروق هو أن الفقير حين يتمسك بفقره ويمعن في ترك الدنيا واعراضها انما يفعل هذا بأرادته واختياره على حين انك ترى الصوفي قد تجرد من هذا الاختيار وهذه الارادة . فهو في جميع احواله قد محيت فيه ملكة الاختيار وفنيت أرادته في أرادة الله فناء تاما بحيث الا يصدر في شيء الا عن أرادة الله . ولا يرى فضيلة ما في فقر او غنى ، ولكن الفضيلة عنده كائنة فيما اقامه الله فيه من حال . وليس ادل على ان الصوفي قد فنيت ارادته في ارادة الله ، من قول الجنيد الذي عرف فيه التصوف بأنه . « هو ان يميتك الحق عنك ويحييك به » فمن هذا ترى الفرق واضحا بين التصوف والفقر . كما ترى ان التصوف قوامه ودعامته الفقر بمعنى أن الوصول الى مراتب التصوف انما يتوسل اليه بالفقر . على أن الفرق بين التصوف والفقر لا يقف عند هذا الحد ، وانما هناك فرق ثالث يمكن تلخيصه في أن الصوفي هو من اذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان كان مع الاحسن . على حين أن الفقير والزاهد لا يميزان بين الحالين الحسنين أو الخلقين الطيبين . بل هما يختاران من الاخلاق ماهو ادعى الى الترك والخروج عن شواغل الدنيا حاكمين بعلمهما . وعلى العكس من هذا ترى أن الصوفي يحكم على الاشياء ويستبين الاحسن بما الهم من عند الله مستعينا في ذلك بصدق التجائه وحسن انابته وعلمه بربه . وبعبارة اخرى يمكنك أن تقول أن الصوفي لا يرى في الاشياء الا مايظهره الله عليه ولا يحكم عليها الا بما أوحى اليه . فالتصوف على حد قول رويم ليس الا استرسال النفس مع الله تعالى على مايريد . أو هو كما قال بعضهم أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى . والصوفي — كما قال سهل بن عبد الله — هو : « من صفا من الكدر . وامتلا من الفكر وانقطع عن البشر . واستوى عنده الذهب والمدر »

وخلاصة هذا كله هي أن الفقر أساس التصوف وقوامه . وان التحقق بأحوال التصوف ومقاماته بني على الفقر والزهد فيما اشتملت عليه الدنيا من زخرف ومتاع . وقد قص علينا مؤلف عوارف المعارف قصة رويت عن ذي النون المصري ، ولا بأس من ايرادها فهي تظهرنا على ما انطوت عليه نفوس الصوفية من تمسك بالفقر ، وامعان في الزهد ، واغراق في الاعراض عن ملذات الدنيا وشهوات النفس .

قال ذو النون . « رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت : من أين أقبلت ؟ قالت : من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فقلت : وأين تريدين ؟ قالت : الى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . فقلت : صفيهم لي . فأنشأت :

قوم همومهم بالله قد علقت ... فما لهم همم تسمو الى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... ياحسن مطلبهم للواحد الصمد !
ما أن تنازعهم دنيا ولا شرف ... من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق انق ... ولا لروح سرور حل في بلد
الا مسارعة في أثر منزلة ... قد قارب الخطو فيها باعد الابد
فهم رهائن غدران وأودية ... وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

فهذا الشعر وان كان ركيكا مهلهلا ضعيفا الا انه يصور لنا في وضوح نفوس الصوفية وقلوبهم وما احتوت عليه هذه القلوب وهذه النفوس من فناء في الله ، وذكر له ، واتحاد معه ، بحيث أصبحت نفوسهم لا تفكر الا فيه وقلوبهم لا تنزع الا اليه . وبحيث انهم تجردوا عن كل شهوة ، وخلصوا من كل لذة ، وتحرروا من هذه القيود الجسمانية التي تفسد على الانسان حياته الباطنية وتكدر صفاء سريرته النفسية .

وآية ذلك هي أن الصوفي دائم التصفية والتنقية لنفسه مما يشوبها من الاكدار . وهو فوق هذا دائم الحركة والاضطراب بدوام التجائه وافتقاره الى ربه . والتجاؤه وافتقاره هما اللذان يهذبان قلبه وينقيان نفسه ويضيئان جوانب هذه النفس وهذا القلب بالمعرفة الصحيحة الصادقة التي تكشف له عن حقيقة الله وماهية الاشياء . وعلى هذا ترى انه لابد للصوفي من دوام الحركة والاضطراب بدوام الافتقار والالتجاء وحسن التفقد لمواطن اصابات النفس .

ولنترك الآن الباب الخامس بعد أن وقفنا عند أهم ما اشتمل عليه ولنعرض للباب السادس حيث يحدثنا السهروردي عن مسألة لها قيمتها العلمية وخطرها العظيم في تاريخ التصوف وفهم الاطوار التي مر بها فهماً صادقاً مستقيما . وأعني بهذه المسألة مسألة الاصل الذي صدرت عنه كلمة (صوفي) والمصدر الذي أشتقت منه ونسبت اليه ، والمؤلف حين يحدثنا عن أصل كلمة صوفي يعرض

علينا أهم الآراء التى رآها القدماء واختلفوا فيها اختلافاً تجاوزهم الى المحدثين من المستشرقين وغير المستشرقين من علماء الشرق .

ولعل مؤلف عوارف المعارف أميل ما يكون الى أن هذه الكلمة ليست إلا نسبة الى الصوف. وهو يستمد فى رأيه هذا الى أن الصوف كان لباس الانبياء فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف . وحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يلبس الصوف والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى .فأنت ترى أن هذا الكلام إن صح كان طبيعياً أن يختار المتصوفة لباسهم من الصوف وكان بديهيا أن تكون نسبتهم الى ظاهر لباسهم الذى ينسج منه . وهذا الرأى ملائم لما أخذ به الصوفية أنفسهم من زهد فى ملذات الدنيا بصفة عامة وميل الى اللباس الخشن وأعراض عن اللباس الرقيق الناعم بصفة خاصة ناهيك بأنه يلائم ملاءمة تامة طبيعة الاشتقاق اللغوى . فيقال تصوف الرجل إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص . وفوق هذا كله فانه نظراً لتقلب أحوالهم ومقاماتهم ودوام تنقلهم لم يكن هناك أمر يقيدهم ويجمع هذه الاحوال وهذه المقامات المتنوعة . ومن هنا كانت نسبتهم الى ظاهر اللباس الذى أتخذوه مميزا لهم مشيراً الى ما يأخذون به أنفسهم من زهد و تقشف وورع . فكان ذلك أبين فى الاشارة اليهم وأدل على حصر وصفهم . إذ أن ليس الصوف كان غالباً عليهم لتشبههم فى ذلك بالانبياء والمقربين . ومن هنا ترى أن أن نسبتهم الى الظاهر أوفق وأقرب الى الاقناع من نسبتهم الى الباطن . فلو نسبوا مثلا الى حال ما، أو الى مقام ما،كان ذلك أقل دلالة وأدنى الى الغموض والابهام فى الاشارة اليهم .

فمما تقدم ترى أن نسبة الصوفية الى الصوف أبين فى تفهم حالهم وأدل على زهدهم وأقرب الى التواضع منها الى أى شيء آخر. وقد ذهب بعض أهل العلم الى أن تسمية الصوفية بهذا الاسم راجعة الى نسبتهم الى الصوفة وخلاصة هذا المذهب هى أنه لما كان الصوفية يؤثرون الذبول والخمول والانكسار والتواضع مثلهم فى ذلك كمثل الصوفة الملقاة ، كانت تسميتهم بهذا الاسم نسبة الى الصوفة . وهذا الرأى فضلا عن انه ملائم للدلالة على ما انطوت عليه نفوس الصوفية من الاذعان والذلة والخضوع فانه ملائم أيضاً لطبيعة الاشتقاق اللغوى .

وهناك رأى آخر يتلخص فى أن الصوفية سموا بهذا الاسم لأنهم فى الصف الأول بين يدى الله عز وجل لارتفاع هممهم واقبال قلوبهم على الله تعالى .

ورأى رابع ذهب فيه أصحابه الى أن تسمية الصوفية بهذا الاسم راجعة الى نسبتهم الى «الصفّة» التى كانت لفقراء المهاجرين فى عهد النبي. على أن هذا الرأى وان كان صحيحا من ناحية المعنى إلا انه لا يستقيم من ناحية الاشتقاق اللغوى . فالصوفية يشبهون «أهل الصفة» من حيث أنهم فقراء مؤتلفون فى الله مجتمعون فى الله . وأصحاب الصفة هؤلاء كانوا نحوا من أربعين رجلا لم تكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر . كانوا يصرفون بياض النهار محتطبين ويقضون سواد الليل متعبدين . آثرهم النبي بحبه لهم وعطفه عليهم وبره بهم حتى انه كان يأكل معهم ويحث الناس على مواساتهم . هم الذين نزلت فيهم الآيه الكريمة . «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى» والذين نزلت فى أحدهم وهو ابن ام مكتوم هذه الآية الشريفة : «عبس وتولى أن جاءه الأعمى . » فكان ذلك عتابا للنبي ويقال انه كانت توجد فى بلاد خراسان طائفة من أهل الصفة لجأت الى المغاور والكهوف ولم تسكن المدن والقرى . كان يسميهم أهل خراسان «شكفتية» لأنهم يطلقون على الفار لفظة «شكفت» فنسبوهم اليها . أما أهل الشام فكانوا يسمونهم «جوعية»

تلك هى اهم الآراء التى ذكرها السهروردى فى أصل كلمة صوفى وقد أخذ بعدها فى اظهارنا على ان هذه الكلمة تجمع المتفرق فى الاسماء التى ذكرها الله فى القرآن وسمى بها طوائف الخير المختلفة فقد سميت طائفة بالأبرار وأخرى بالمقربين وثالثة بالصابرين ورابعة بالصادقين الخ . . وانت إذا انعمت النظر فيما اشتملت عليه قلوب الصوفية من بر وصبر وصدق وذكر لرأيت ان لفظة الصوفى قد احتوت كل ما تدل عليه اسماء هذه الطوائف .

ويختم المؤلف هذا الباب بذكر موجز لتاريخ كلمة صوفى فيقول انها لم تعرف فى زمن النبي وانما عرفت فى زمن التابعين . واثبت هذا بذكر كلام روى عن الحسن البصرى قال فيه: «رأيت صوفيا فى الطواف فاعطيته شيئا فلم يأخذه وقال : « معى اربع دوانيق يكفينى مامعى » على هذا ذهب بعضهم الى أن هذا الاسم لم يعرف الى المائتين من الهجرة . فكان أصحاب رسول الله يسمون الرجل صحابيا حتى اذا انقضى عهد النبي سمى من أخذ العلم عنهم تابعيا . ولما ان تقادم عهد النبوة وانقطع الوحى وأقبل الناس على الدنيا وتهافتوا على زخرفها انفردت طائفة بالعبادة والتقوى واعرضت عن الدنيا فكانت هذه الطائفة هى الصوفية «الاسم سمتهم . والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم . والتقوى شعارهم . وحقائق الحقيقة اسرارهم » ؟

محمد مصطفى حلمى
ماجستير في الآداب

بلاط الشهــــداء

بعد ألف ومائتي عام

— ٨ —

تتمــــة

ويقول السير ادوارد كريزى : « إن النصر العظيم الذى ناله كارل مارتل على العرب سنة ٧٣٢ وضع حدا حاسما لفتوح العرب فى غرب أوربا ، وأنقذ النصرانية من الاسلام ، وحفظ بقايا الحضارة القديمة وبذور الحضارة الحديثة ، ورد التفوق القديم للأمم الهندية الأوربية على الأمم السامية »(١) ويقول فون شليجل فى كلامه عن الاسلام والامبراطورية العربية : « ما كاد العرب يتمون فتح أسبانيا حتى تطلعوا الى فتح غاليا وبورجونيا . ولكن النصر الساحق الذى غنمه بطل الفرنج كارل مارتل بين تور وبواتيه وضع لتقدمهم حدا ، وسقط قائدهم عبد الرحمن فى الميدان مع زهرة جنده ، وبذا أنقذ كارل مارتل بسيفه أمم الغرب النصرانية من قبضة الاسلام الفتاكة الهدامة الى الذروة » (٢) ويقول رانكه : « إن فاتحة القرن الثامن من أهم عصور التاريخ ، ففيها كان دين محمد ينذر بامتلاك إيطاليا وغاليا ، وقد وثبت الوثنية كرة أخرى الى ما وراء الرين ، فنهض إزاء ذلك الخطر فتى من عشيرة جرمانية هو كارل مارتل ، وأيد هيبة النظم النصرانية المشرفة على الفناء بكل ما تقتضيه غريزة البقاء من عزم ، ودفعها الى بلاد حديثة » (٣) . ويقول زيلر « كان هذا الانتصار بالأخص انتصار الفرنج والنصرانية ، وقد عاون هذا النصر زعيم الفرنج على توطيد سلطانه لا فى غاليا وحدها ولكن فى جرمانيا التى أشركها فى نصره » (٤) : « على أن هنالك فريقا من مؤرخى الغرب لا يذهب الى هذا الحد فى تقدير نتائج الموقعة وآثارها ومن هذا الفريق المؤرخان الكبيران سسموندى وميشليه . فهما لا يعلقان كبير أهمية على ظفر كارل مارتل . ويقول جورج فنلى : «ان أثرة الكتاب الغاليين قد عظمت من شأن تغلب كارل مارتل على حملة ناهبة من عرب أسبانيا ، وصورته كانتصار باهر ونسبت خلاص أوربا من نير العرب الى شجاعة الفرنج فى حين أن حجابا ألقى على عبقرية ليون الثالث امبراطور (قسطنطينية) وعزمه مع أنه نشأ جنديا يبحث وراء طالعه ولم يكد يجلس على العرش حتى احبط خطط الفتح التى أنفق الوليد وسليمان طويلا فى تدبيرها » (٥)

ونحن مع الفريق الاول نكبر شأن بلاط الشهداء ايما اكبار ، ونرى انها كانت أعظم لقاء حاسم بين الاسلام والنصرانية ، وبين الشرق والغرب ، ففى سهول تور وبواتييه فقد العرب سيادة العالم بأسره وتغيرت مصائر العالم القديم كله وارتد تيار الفتح الاسلامى أمام الامم الشمالية كما ارتد قبل ذلك باعوام امام اسوار قسطنطينية واخفقت بذلك آخر محاولة بذلتها الخلافة لافتتاح امم الغرب واخضاع النصرانية لصولة الاسلام ، ولم تتح للاسلام المتحد فرصة أخرى لينفذ الى قلب اوربا فى مثل كثرته وعزمه واعتزازه يوم مسيره الى بلاط الشهداء . ولكنه أصيب قبل وبعد بتفرق الكلمة ، وبينما شغلت اسبانيا المسلمة بمنازعاتها الداخلية ، اذ قامت فيما وراء البرنيه امبراطورية فرنجية عظيمة موحدة الكلمة تهدد الاسلام فى الغرب وتنازعه السيادة والنفوذ ؟

محمد عبد الله عنان

(١) Decisive Battles

(٢) Philosophie der Gesoleciiete

(٣) History of the Rebormation

(٤) Hist. de L,Aelmagne

(٥) Agyptine Empire

المستشرق برجستريسر

(Gotthelf Bergstraesser)

٥ ابريل سنة ١٨٨٦ — ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٣

للدكتور اسرائيل ولفنسون

مدرس اللغة العبرية بكلية الآداب

وقع نظرى أثناء مطالعتى فى الجرائد اليومية التى وصلتنى من المانيا على خبر لم يوضع فى مكان بارز كأنه ليس من الاهمية فى شىء ، ورد فيه نعى جوتهلف برجستريسر أستاذ اللغات السامية بجامعة ميونيخ ، سقط أثناء رحلة رياضية فى جبال الالب من قمة جبل جلوكنر الى هاوية توفى فيها على الفور ، لو وقع هذا الحادث منذ سنوات قليلة لكان قد وضع فى مكان أبرز ، وعلى حالة تلفت القراء أكثر مما هو فى جرائد هذه الايام ، لأن المانيا الحالية ليس فيها من يعبأ كثيرا بمن توفى من العلماء المستشرقين ، ولكنى روعت لهذا الخبر الذى أدمى قلبى وملأه حزنا وأسى

كان علم الاستشراق قد قطع شوطا بعيدا فى أواخر القرن الماضى فى جامعات اوربا على العموم ، وفى المانيا خاصة حتى وصل ببحوث نولدكه وجولدسيهر ويت ويستنفلد وليتش وغيرهم الى اوج مجده ثم أخذ بعد انتهاء الحرب العظمى ينحدر من قمة الجبال الى بطون الوهاد ويتضاءل شيئا فشيئا

ويجب أن يلاحظ ان الحرب العالمية قد أدت الى انحطاط العلم على العموم فى اوربا ، لأن التفكير الجدى والقراءة الدقيقة انقطع عنهما الشباب الذى أخذ يميل الى البحوث السطحية والى اكتساب العلم عن طريق الراديو والسينما ، كما انتشر فى الجامعات توغل جمهرة الطلبة فى الشؤون السياسية والحزبية اكثر من توغلهم فى البحوث العلمية

وقد توفى من خيرة الاساتذة المستشرقين (جولدسيهر ونولدكه شبيجلبرج وبيجر وهورديتس) دون أن يأتى غيرهم فيملأ الفراغ الذى تركوه فى شتى العلوم التى كانوا يضحون حياتهم فى سبيلها . واما الآن فنجد عددا غير قليل من الاساتذة يملأون أروقة الجامعات فى المانيا وهم من الذين يناصرون الحزب الذى يقبض الآن على ناصية الحـــكم فى البلاد . . . هذه الافكار أخذت تقلق بالى فى تلك اللحظات التى قرأت فى الجرائد الالمانية عن وفاة العالم برجستريسر

نشأ الأستاذ برجستريسر فى أسرة المانية مسيحية بروتستانتية وكان ابوه وجده قسيسين فى مدينة بلون Plauen من أعمال زكسن Sachsen بألمـانية ، ومن هنا يسهل فهم سبب عناية والديه بتربيته الدينية فى المدرسة الابتدائيه والثانوية . اذ أرادا أن يحقق امنيتهما حتى يكبر تقيا ويصبح صالحا لرداء الكهنوت ويكون خير خلف لخير سلف ، ولكن جوتهلف برجستريسر مال عن هذه الرغبة الى البحث فى اللغات السامية والعلوم الاسلامية حين دخل فى جامعة ليبزيج Leipzig فى سنة ١٩٠٤ وقد درس آداب اللغة العربية عند العالم أوجست فيشر الذى يعتبر الى يومنا الحالى من قادة النقاد لدى جمهرة المستشرقين ، وقد أثرت روح النقد فى برجستريسر حتى أضحت على كر الزمن من مميزاته البارزة لا فى الكتابة والقاء المحاضرات فحسب ، بل اثناء محادثاته العادية مع محدثيه كانت لا تفوته كبيرة أو صغيرة دون أن يتعرض لهـا اذا وجد مجالا للمعارضة أو الانتقاد

ونذكر بهذه المناسبة ان فيشر — شيخ النقاد — كان على الدوام ينتقد بكل شدة مؤلفات المستشرقين حتى هابه عظماء العلماء فى العصر الحاضر ، على ان فيشر لم يؤلف المؤلفات الكبيرة كما فعل العلماء الذين انتقد مصنفاتهم بل كان يكتفى بوضع المقالات ، وأخذ بعض العلماء يهزأون به ويقولون ان فيشر لا يحب أن ينشر كتبا خوفا من شبح النقد وانتقام النقاد ، ومن اكبر عيوب أوجست فيشر انه بدأ بدون جملة كتب فى موضوعات شتى منذ سنين كثيرة ولم ينته منها ، اذ من المعلوم انه يعمل منذ ثلاثين سنة فى تأليف قاموس عربى على دقيق للشعر العربى القديم لم يطبع الى الآن ، وكذلك بدأ فى مراجعة جملة مخطوطات لكتاب المغازى للواقدى منذ امد بعيد والى الآن لم ينته منـــه أيضا . وكان كاتب هذه السطور قد التقى بالأستاذ فيشر فى مدينة فينا فى مؤتمر المستشرقين فى سنة ١٩٣٠ فعرض عليه أن يتم مراجعة بقية الأجزاء من كتاب المغازى للواقدى ، فلما سمع فيشر اقتراحه بدا اضطراب على وجهه وسكت طويلا كأنه لم يتمكن من أن يبوح بكلمة ، ثم أجاب بعد تفكير طويل : أمهلنى حتى أفكر مليا فى هل أكمل الكتاب أم أقدمه اليك مع جميع المخطوطات والصفحات التى بدأت بمراجعتها . . . فلما قصصت حكاية المقابلة مع فيشر للأستاذ برجستريسر ابتسم ابتسامته الحلوة قال : فيشر لن يرسل اليك الصفحات التى راجعها أبداً كما لن يخبر أنه عزم على أن لا يتم الكتاب . .

على أن فيشر كان قد درب فى جامعة ليبزيج تحت أشرافه عددا لا يستهان به من العلماء حتى أصبحوا من فحول المستشرقين فيما بعد ، وكان بينهم الأستاذ جوتهلف برجستريسر .

وبعد أن أتم برجستريسر دراسته الجامعية وقدم رسالة عن حروف النفى وأسماء الاستفهام فى القرآن الكريم فى سنة ١٩١١ قام برحلة إلى الأقطار الشرقية فى سنة ١٩١٣ فزار الاناضول وسورية وفلسطين ومصر وما كاد يصل الى ألمانيا من هذه الرحلة المباركة حتى بدأت الحرب العظمى فدعى إلى ساحة القتال . وظل متنقلا مع الجيش الالمانى فى أرض بلجيكا وفرنسا الى أن دعته الحكومة التركية فى سنة ١٩١٥ لالقاء محاضرات فى جامعة الأستانه ، وكان أول عهده بلقب أستاذ ، وقد بلغ حينئذ العام الثلاثين من حياته ، ولما ذاع صيته دعى لالقاء محاضرات فى جامعات المانيا فى العلوم الاسلامية واللغات السامية كانت أولها جامعة كونسبرج فى سنة ١٩١٩ وفى عام ١٩٢٢ انتقل الى جامعة برسلو ومنها الى جامعة هيدلبرج فى سنة ١٩٢٤ ثم دعى إلى مدينة ميونيخ . سنة ١٩٢٦ التى ظل يدرس بها الى أن أدركته المنية .

***

تنقسم مؤلفات برجستريسر الى أربعة أنواع أصلية نوع يشتمل كتبه عن اللغة العربية وعلم اللغات السامية ، ونوع آخر يبحث فى الأرامية ولهجاتها ، ونوع ثالث يحتوى على مصنفاته ومطبوعاته فى الآداب العربية والعلوم الاسلامية ، وأما النوع الرابع فيشمل مقالاته عن علوم اللغة التركية .

على العموم تمتاز كتابة برجستريسر بدقة الجمل القليلة فى ألفاظها ، الكثيرة فى معناها ، يعبر عما يجول فى خاطره بعد تفكير

طويل، وبعد احاطة بالموضوع من جميع نواحيه، والمام شاق بجميع المراجع الكبيرة والصغيرة مع استعمال الادلة العلمية الدقيقة، مما يجعل القارىء يحتاج الى قراءة الكتاب بأناة حتى يقف على النظريات الغزيرة

ومن أهم ما دون برجستريسر فى حياته: كتابه عن قواعد اللغة العبرية، ومما لاشك عندنا أنه اخطر كتاب فى موضوعه منذ بدأ البحث فى علوم الامم الشرقية على الطريقة العلمية المألوفة عند الافرنج، وقد أظهر المؤلف فى هذا المصنف أنه وقف على جميع النظريات التى الفت فى هذه المادة فى جميع العصور بين كتب ومقالات معروفة ومهجورة، وهذا المام يندران يوجد بين علماء اليهود أنفسهم

ومع أن كتابه هذا وضع لجمهرة الطلبة فى الجامعات فانه لم يستعمل كثيراً بين هؤلاء لأنهم لم يتمكنوا من فهمه وادراكه حق الادراك، لذلك اصبح كتاباً للاساتذة والمدرسين فى المعاهد العليا كما هو شأن جميع كتب برجستريسر التى انحصر تداولها بين أيدى الذين نضجت عقولهم وتمرنوا على مطالعة الموضوعات العويصة والكتب الفنية الدقيقة

وله كتاب آخر سمى المدخل الى اللغات السامية

[Einfuhrung in die semitischen Sprachen]

ويجب أن يلاحظ أنه بعد أن نشر مصنف نولدكة عن اللغات السامية، وكتاب بروكلمان الكبير عن الموازنة بين قواعد اللغات السامية جاء برجستريسر واضاف كتاباً جديداً فى هذه المادة، وكان الناس يتوقعون أنه لا يأتى بجديد، ولكن ظهور الكتاب ازال كل اثر لتلك المخاوف، اذ جاء جديداً فى اسلوبه، فياضا فى نظرياته، ثائراً على القديم، يلقى أحكامه الجديدة ويهدم قضايا مألوفة ومعروفة

وله كذلك كتاب فى جغرافيـــة اللغة فى سورية وفلسطين

(Sprachatlas fuer Syrien und Palaestina)

وضعه لاغراض عملية لرجال الجيش الالمانى فى البلدان العربية أثناء الحرب العظمى

وقد ذكرنا رحلة الاستاذ برجستريسر الى البلدان الشرقية، وكان قد أقام مدة من الزمن فى دمشق بحث فيها بحثا علميا دقيقا عن اللهجة العامية فى دمشق، كما وجه عناية شديدة الى البقية الباقية من الارهاط السريانية التى تقطن فى المعلولة وهى ضاحية من ضواحى دمشق. وصنف رسالتين احداهما عن اللهجة السريانية عند اهل معلولة والأخرى عن الروايات الخرافية الجديدة عند الأراميين

على أن الاستاذ برجستريسر وجه جل عنايته الى البحث فى العلوم الاسلامية والعربية، وكانت باكورة مصنفاته فى هذه المواد رسالته عن حنين بن اسحق ومدرسته، ومما لا شك فيه أن الذين يكتبون عن الفلسفة اليونانية وأثرها فى الفلسفة الاسلامية وعن حركة الترجمة والنقل من اليونانية الى العربية بواسطة السريان، يجدون فى هذا السفر مادة غزيرة لا يمكنهم أن يستغنوا عنها مطلقا . . .

وله كتاب آخر وهو عظيم الخطر فى العلوم الاسلامية اعنى به ما كتبه عن مصاحف القرآن الكريم. كان الاستاذ نولدكه قد الف فى أواسط النصف الثانى من القرن التاسع عشر كتاباً عن تاريخ القرآن كان له الدوى العظيم والأثر البعيد فى أندية العلماء فى أوربا، ولما احتاج الكتاب الى تنقيح وزيادات وكان الاستاذ نولدكه قد توغل فى بحوث اخرى تناوله الاستاذ شوللى Scwally واخرج الطبعة الثانية من كتاب تاريخ القرآن الكريم مع زيادات وملاحظات كثيرة، ولم يكن الكتاب كمل بعد، لذلك اتم برجستريسر ما بدأ به نولدكه وشوللى فدون الجزء الثالث من تاريخ القرآن الكريم وهو كتابه عن المصاحف، وقد رأى الاستاذ برجستريسر أن يبحث فى قراءات القرآن وهى مادة لم يكن ليشتغل فيها غيره من كبار المستشرقين، فقضى سنين طويلة يراجع بصبر واناة كل مادون فى أمهات المصنفات الاسلامية فى هذه المادة من كتب مطبوعة ومخطوطة، وكانت نتيجة هذه الأبحاث الطويلة أنه طبع (١) كتاب غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين ابى الخير محمد الجزرى المتوفى سنــــه ٨٣٣ هـ (٢) كتاب شواذ القراءات لابن خالويه (٣) رسالة باللغة الالمانية عن القراءات القرآنية الشاذة فى كتاب المحتسب لابن جنى

Nichtkanische Kran les arten im Muhtasab des Ibn Ginni

وهو آخر مصنف وضعه الأستاذ برجستريسر فى حياته، ومما يلفت الأنظار أن هذا الكتاب مقدم الى الدكتور طه حسين

ويجب ألا يغيب عن البال ان الاستاذ برجستريسر قد أتقن ماعدا اللغات السامية: الفارسية والتركية ايضا، وقد وضع جملة مقالات عن آداب هاتين اللغتين نشرت فى مجلات المستشرقين فى مناسبات شتى

***

كان الاستاذ أنوليتمان (E. Littmann) المستشرق الشهير صاحب المدونات عن الكتابات العربية قبل الاسلام، المعروفة بالخطوط الثمودية واللحيانية والصفوية (راجع كتاب تاريخ اللغات السامية لكاتب هذه السطور ص ١٧٥-١٨٨) بعد أن القى محاضرات

فى الجامعة المصرية فى السنه الدراسية ١٩٢٨ — ١٩٢٩ ولم يستطع الرجوع الى الجامعة بعد ذلك الحين أشار على الهيئات الرسمية بالجامعة المصرية بان يدعو الأستاذ برجستريسر لالقاء محاضرات فى الجامعة المصرية

وقد قوبل الاقتراح ولبى الاستاذ برجستريسر دعوة الجامعة وحضر الى القطر المصرى وكان مجىء برجستريسر حادثاً خطيراً فى حياة الجامعة المصرية اذ كان الاساتذة والمدرسون يقبلون عليه ويحضرون مع الطلاب محاضراته النفيسة ، وكان يلقى فى ذلك العام (١٩٣٠) محاضرات عن التطور النحوى للغة العربية . وكان فى محاضراته الأولى كثير العجمة والابهام فى لغته العربية، وكان يقرأ المحاضرة من الورقة المكتوبة التى كانت أمامه، ثم أخذ بعد جملة أسابيع يتحرر شيئاً فشيئاً من الكراس، وأخذ يرتجل الجمل ارتجالا ويفصح فى الكلام افصاحاً، ثم رجع فى سنة ١٩٣٢ الى مصر والقى محاضراته عن اللهجات العامية فى الموصل . كان يفيض كالبحر الزاخر بلغة عربية فصيحة كانت مفهومة واضحة لجمهرة الطلبة

ويجب ان يقال بكل صراحة إن عدد الحاضرين عند برجستريسر كان فى بادىء الأمر كبيرا ، ثم أخذ ينقص على كر الزمان الى ان انحصر الحاضرون فى طلبة قسم اللغات السامية فقط ، والسبب فى ذلك يرجع الى أن محاضرات برجستريسر كانت فنية قبل كل شيء أى إن الذين لم يدرسوا اللغات السامية لم يفهموا كثيرا مما كان يلقى الاستاذ ، وفوق ذلك فان عقلية برجستريسر كانت دقيقة وعميقة وكانت محاضراته موجهة الى أصحاب الثقافة الراقية قبل كل شيء

لم يكن برجستريسر أكبر الاساتذة سنا، ولكنه كان أعلاهم مقاما وأغزرهم علما وكانوا يوجهون اليه الأسئلة حتى يقفوا على أرائه فى كثير من الموضوعات ومن هنا ادخل برجستريسر فى هيئة التحرير فى المجلة العلمية الشهيرة فى ادبيات المستشرقين Orientalistische Literaturzeitung وكان مدة من الزمن رئيس التحرير فى المجلة الألمانية للعلوم السامية

Philologie und Linguistik Beitragezur sem.

كان الاستاذ برجستريسر يسرف فى اجهاد نفسه حتى أضناه العمل لانه كان فوق البحث والفحص لتنظيم محاضراته لطلبة الجامعة المصرية ، يمضى ثلاثة أيام كاملة من الصباح الى الغروب فى المكتبة الملكية يجلس الى مائدة فى غرفة منفردة ويراجع مخطوطات فى قراءات القرآن، ثم اضطر الى ملازمة الفراش ،فعنفه الاطباء على اجتهاده المفرط الذى ينذر بالخطر وأشاروا عليه بترك العمل فى المطالعة والتأليف ولكنه لم يحفل بهم

وكان برجستريسر يحب الجبال ، والرياضة فى الجبال، ينزه أسابيع كاملة على خلوة بنفسه ، وفى اليوم الثانى عشر من شهر اغسطس المنصرم صعد جبل جلوكز الشامخ فحدثت الفجيعة العظمى اذ زلت قدماه من ذروة الجبل الشاهق وسقط الى هاوية فتوفى على الاثر

وكان قد بلغ الثامنة والاربعين من عمره حين قضى نحبه؟

فى الأدب العربى

ابن خلدون ومكيافيللى (١)

للأستاذ محمد عبد الله عنان

بعد وفاة ابن خلدون بأكثر من قرن ، وضع نيكولو مكيافيللى المؤرخ والسياسى الايطالى (٢) كتابا يتبوأ فى التفكير الغربى مكانة كتلك التى تتبوأها مقدمة ابن خلدون فى التفكير الاسلامى . ذلك هو كتاب « الامير » Ilprincipe ، وهو كأثر ابن خلدون قطعة بديعة من التفكير السياسى والاجتماعى . تمتاز بكثير من القوة والطرافة والابتكار الفائق . واذا لم يك بين الأثرين كثير من أوجه الشبه المادى ، فان بينهما كثيرا من أوجه الشبه المعنوى ، وبين الذهنين بالأخص مشابهة قوية من حيث الظروف والبيئة التى تكون كل فيها ، ومن حيث فهمه للتاريخ والظواهر الاجتماعية ، ومن حيث قوة العرض والاستدلال بشواهد التاريخ .

ونستطيع أن نرجع كثيرا من أسباب هذه المشابهة بين المفكرين العظيمين الى تماثل عجيب فى العصر والظروف السياسية والاجتماعية التى عاش كل منهما فيها . فقد كانت الامارات والجمهوريات الايطالية التى عاش مكيافيللى فى ظلها تعرض فى ايطاليا نفس الصور والاوضاع السياسية التى تعرضها الممالك المغربية ايام ابن خلدون ، من حيث اضطرام المنافسات والخصومات فيما بينها ، وطموح كل منها الى افتتاح الاخرى ، وتقلب اماراتها ورياساتها بين عصبة من الزعماء والمتغلبين . وقد اتصل مكيافيللى بهذه الدول ، وقضى عصرا فى خدمة احداها وهى وطنه فلورنسا (فيرنتزا) وانتدب لمهام ساسية مختلفة ؛ واستطاع ان يدرس عن كثب كثيرا من الحوادث والتطورات السياسية التى تعاقبت فى عصره ، وان يجعل من هذا الدرس مادة لتأملاته عن الدولة والأمير ، كما جعل ابن خلدون من الحوادث التى عاصرها واشترك فيها مادة لدرسه وتأملاته

على أن المفكر المسلم أغزر مادة وأوسع آفاقا من المفكر الايطالى . ذلك أن ابن خلدون يتخذ من المجتمع كله ومايعرض فيه من الظواهر مادة لدرسه ، ويحاول أن يفهم هذه الظواهر وان يعللها على ضوء التاريخ ، وان يرتب على سيرها وتفاعلها قوانين اجتماعية عامة . ولكن مكيافيللى يدرس الدولة فقط ، أو يدرس أنواعا معينة من الدول ، هى التى يعرضها التاريخ اليونانى والرومانى القديم ، وتاريخ ايطاليا فى عصره ، ويدرس شخصية الأمير أو المتغلب الذى يحكم الدولة ، ومايلحق بها من الخلال الحسنة أو السيئة ، ومايعرض لها من وسائل الحكم . وهذه الدراسة المحدودة المدى تكون جزءا صغيرا فقط من دراسة ابن خلدون الشاسعة ، هو الفصل الثالث من الكتاب الأول من المقدمة ، وهو الذى يدرس فيه احوال الدول العامة والملك والمراتب السلطانية . وحتى فى هذا المدى المحدود يتفوق ابن خلدون على مكيافيللى تفوقا عظيما . ويبتدع هنا نظرية العصبية ، ونظرية اعمار الدول ، ويتناول خواص الدولة من الناحية الاجتماعية وان كان مكيافللى من جهة أخرى يتفوق على ابن خلدون فى سلاسة المنطق ، ودقة العرض والتدليل ، ورواء الاسلوب .

كتب مكيافيللى كتابه « الأمير » سنة ١٥١٣ واهداه الى لورنزو دى مديتشى « الافخم » أمير فلورنسا ، وهو يشير الى غرضه من وضع كتابه فى قوله للأمير فى خطاب الاهداء : « ومع انى اعتبر هذا المؤلف غير خليق بمطالعة محياك ، فانى اعتمد جل الاعتماد على عطفك ورقتك فى قبوله ، فلست استطيع فى اهدائك خيرا من أن اقدم اليك فرصة لتفهم فى اقصر الاوقات كل ماعرفته خلال أعوام طويله ، وفى غمار من المتاعب والاخطار » وفى قوله : « فتناول ياذا الفخامة هذه الهدية الصغيرة بنفس الروح الذى

---

(١) من كتابه ذكرى ابن خلدون وسيصدر قريبا

(٢) نيكولو مكيافيللى Nicolo Machiavelli كاتب ومؤرخ وسياسى ايطالى كبير، ولد سنة ١٤٦٩ بمدينة فلورنسا وتوفى بها سنة ١٥٢٧ واشتغل حينا سكرتيرا للسياسة الخارجية فى حكومة فلورنسا . وكلف بعدة مهام سياسية فى ايطاليا وفرنسا والمانيا ، ولما عاد آل مديتشى لحكم فلورنسا سنة ١٥١٢ ، قبض عليه بتهمة التآمر وعذب ثم افرج عنه بوساطة البابا ليون العاشر . وعندئذ اعتزل الحياة العامة وكتب عدة مؤلفات شهيرة منها كتابه « الامير » وتاريخ فلورنسا . ومقالات عن ليفى المؤرخ الرومانى ؛ وعدة رسائل سياسية وقطع مسرحية

أرسلها به، وإنك اذا قرأته بامعان وتأمل، فسوف تعرف خالص رغبتي في ان تظفر بهذه العظمة التي يمنى بها حسن الطالع وتمنى بها خلالك » (١) واذن فقد اراد مكيافيللي أن يقدم بكتابه «الأمير» مرشدا لامراء عصره يرشدهم الى امثل طرق الحكم ، وامثل الوسائل لسيادة الشعوب التي يحكمونها . ومكيا فيللي يستمد آراءه ونظرياته من حوادث التاريخ القديم ، وبالاخص من حوادث عصره التي شهدها وخبرها ، ويرتب عليها احكاما وقواعد عامة ، كما يرتب ابن خلدون مثل هذه الاحكام والقواعد على دراسته للمجتمع . ويبسط مكيافيللي دراسته في بحوث موجزة ويبدأ بالحديث عن أنواع الامارات ، ووسائل اكتسابها ، وعن الوسائل التي تحكم بها المدن او الامارات التي كانت تعيش في ظل قوانينها قبل ان تغلب ، وعن الامارات التي تقوم بالفتح وكفايات الامير الشخصية ، وعن تلك التي تغنم على يد آخرين او بطريق الحظ ، او تلك التي تغنم بالغدر والخيانة ، وعن الامارات المدنية والدينية ، وعن انواع الجيوش والجنود المرتزقة ، وما يجب ان يعرفه الامير عن فن الحرب . ثم يتناول بعد ذلك شخصية الامير ، وما يحمد فيه من الخلال وما يذم ، وعن الكرم والشح ، والرأفة والقسوة وعن الطريقة التي يجب ان يحفظ بها الامراء وعودهم ، وعما يجب عليهم لتجنب بغض الشعب واحتقاره ، وما يجب عليهم لاكتساب الشهرة ، والمجد ، وأخيرا يتحدث عن حجاب الامير «سكرتارية» وعن وجوب تجنب الملق ، وعن الاسباب التي فقد بها أمراء ايطاليا دولهم ، وعما يمكن أن يؤديه حسن الطالع في سير الشئون البشرية ، ثم يختتم بالحث على تحرير ايطاليا من نير الاجانب أو غزوات البرابرة كما يسميهم

تلك هي المباحث التي جعلها مكيافيللي قوام فلسفته عن الدولة والأمير . ويبدو بالاخص مما كتبه عن «الامير» انه يعالج موضوعا عالجه المفكرون المسلمون قبل ابن خلدون بعصور طويلة ، هو موضوع « السياسة الملكية » وهو موضوع يجري منذ القرن الثالث الهجري في التفكير الاسلامي مع بحث أو علم خاص هو علم السياسة على نحو ما بينا في فصل سابق . وقد رأينا مما تقدم أن « السياسة » كانت تفهم عند العرب في العصور الاولى بمعنى ضيق جدا هو شرح الخلال الحسنة التي يجب أن يتصف بها الامير ، والعيوب التي يجب أن يبرأ منها لكي يصلح لرآسة الدولة وتبوء الملك ؛ ولكي يستطيع الحكم بأهلية وكفاية . ثم توسع المفكرون المسلمون في فهم معنى «السياسة» وقسموها الى عدة أنواع ، وتناولوا «السياسة الملكية» من الناحية الفقهية وكذا من الناحية الادارية وبحثوا مركز الأمير من الناحية الشرعية وتحدثوا عن الخطط السلطانية . وظاهر ما يتناوله المفكر الايطالي من خواص الأمير وخلاله وواجباته هو ضرب مما تناوله المفكرون المسلمون منذ أواخر القرن الثالث الهجري . من ذلك ما كتبه ابن قتيبة في كتاب «عيون الاخبار» والماوردي في كتاب «الاحكام السلطانية» والطرطوشي في كتاب «سراج الملوك» والغزالي في كتاب «التبر المسبوك» ، ثم ابن الطقطقي في كتاب «الآداب السلطانية» . وهو موضوع تناوله ابن خلدون فيما تناوله من أحوال الدول العامة والملك ، اذ يتحدث هنا عن حقيقة الملك وأصنافه ، وعن معنى الخلافة والامامة ، وعن مختلف المذاهب والآراء في حكم الامامة ثم عن الخطط السلطانية (١) ، وحديثه في ذلك يمتاز عن حديث اسلافه بما يتخلل بحثه وتدليله من الملاحظات والتأملات الاجتماعية التي لم يوفق اليها باحث قبله

على أن مكيافيللي يمتاز في بحثه بروح عملية جافة . وبينما يتحدث المفكرون المسلمون عن الامير أو الحاكم كما يجب أن يكون ، وعن خلاله المثلى كما يجب أن تكون ، اذا بالمفكر الايطالي ينظر الى الامير الأمثل نظرة عملية محضة . فيصفه كما هو في الواقع ، ويتصور خلاله المثلى فيما هو حادث بالفعل ، ويرتب تدليله ونتائجه على ما احرز الامير وأحرزت خلاله من النجاح أو الفشل دون تأثر بما اذا كانت هذه الصور والخلال تتفق مع مبادىء الاخلاق المثلى كما فهمت خلال العصور . ومن هنا تستمد فلسفة مكيافيللي لونها القاتم ، وتوصم آراؤه ونظرياته السياسية بتلك الصرامة والقسوة والخبث التي جعلتها حتى عصرنا مضرب الامثال للسياسة الغادرة التي لاضمير لها ولاوازع ، والتي جردت من كل نزاهة وعفة ، وتغاضت عن كل المثل الانسانية والاخلاقية . والى القارىء بعض نماذج من تلك الآراء التي طبعت فلسفة مكيافيللي ، وأميره الامثل بذلك الطابع الاسود :

يتبع

(١) كتاب الامير The Prince - الترجمة الانجليزية طبعة افريمان ص ٢ و ٣

(١) راجع المقدمة ص ١٥٦ و ١٥٨ الى نهاية الباب

آثار شوقيـــة

— ٣ —

منظر من رواية الست هدى[1]

السيدة هدى وجارتها زينب تتحدثان فى احدى حجرات منزل السيدة هدى المطل على مسجد ابى الليف بحى السيدة زينب، وقد أخذت السيدة هدى تقص على صديقتها حياتها مع أزواجها التسعة الى أن قالت عن آخر زوج لازال معها :

...

الست هدى :

ثم اقترنتُ بمحامٍ عاطلٍ شِرّيبِ خمرٍ يحتسيها فى الضحى
قلّت دعاويه وقـــل ماله وأصبح المكتب منه قد خلا

« عبد المنعم المحامى زوج الست هدى وهو سكران يصعد السلم »

عبد المنعم « منادياً » :

هدى اضلالٌ ! أين أنت ياهدى؟ أين العجوز؟ أين جدتى هدى
وا نكدا زينبُ ! واداهيتا ! أتى ولا أعرف من أين أتى

يشتم فى السلم :

زينبُ ! خليـــه دعى لاتفرضيه غير سكران هذَى

رأيته

الست : وكيف ؟

زينب : من تحت وقد كان من السقف أطلّ وانحنى
وكانت الحارة منا امتلأت فأرسل القىء علينا ورمى

الست : القىء ! ماذا قلتِ ؟

زينب : قلتُ ما رأت عينى وما مرّ على رأسى وما . . .

عبد المنعم وهو بالسلم :

هدى ! عجوز النحس، أنتِ قردةٌ خطوطك الوحل وكحلك العمى

سمعتِ يازينب ؟

خليه دعى لاتفرضيه غير سكران هذى

زينب :

ومرة جاء أبا الليف ضحى أذّن فى الناس يصلون العشا

فضيحةٌ فى الخُطّ

الست : وافضيحتا !

ما شهدوا فى الحنفىّ مثلها

عبد المنعم ولا يزال بالسلم :

هدى تعالى ياعتيقةُ اظهرى عندى لكِ النعلُ وهذه العصا

الست : سمعتِ يازينبُ

زينب : خليـــه دعى لاتفرضيه غير سكران هذى

الست : دعيه يهذى ما يشا غداً ترَيْنَ، زينبُ
فى غد لى وله شأنٌ، غدا يؤدَّبُ

زينب : وما الذى عزمتِ يا حبيبتى أن تصنعى

الست : أقذفُ فى القسم به وأشتكى وادّعى
ان رجال القسم والنائب والقاضى معى

الست لزوجها : لتندمنّ يا لُكَعْ يا من يقوم ويقع

عبد المنعم وقد سمع صوتها :

ماذا سمعتُ؟ صوتها! أأنت بومتى هنا؟
الآن يا حميزةَ الْ خُطّ أريك من أنا

زينب : هدى حبيبتى اسمعى تعالَىِ اهزلى معى

الست : أنا ؟

زينب : اسمعى دعيه

الست : لا

زينب : دعيه يا هدى دعى

زينب : لا تغضبيه إنه ممتلىء ليس يعى

عبد المنعم :

هدى ! هدى ! أين هدى ؟ أين العجوز الباليـــة
خدّاك ضفدعان قد أسَنّتَا وأذناك عقربان من قِنا
وحاجباك والخطوط فيهما كدودتين اكتظتا من الدما
وبينَ عينيكِ نفارٌ وجفا عينٌ هناك خاصمت عينا هنا

الست :

دعينى أقطع عليه الحذاء وأجز الوقاح على ذنبه
دعينىَ أضربه حتى يفيق فلا بد زينبُ من ضربه

(١) أنظر العدد الثامن عشر ص ٢٧

زينب : قـد جاء . . هيَّا نتقى جنـونه وهوَّسه
ففى يمينه العصـا وفى الشمال المكنسه

الست : سكران يُضرب إذن لنهربْ هلمَّ زينبْ

هـذه حجرة نومى اسرعى زينبُ فيها

نحن يازينبُ لانكْ بح سكرانَ سفيها

« تدخلان الحجرة وتستتران وراء الباب وعبد المنعم يدخل مترنحا »

— ٤ —

فى الاندلس

أبيات مبعثرة نظمها أمير الشعراء فى الاندلس

. . ويوم من صبا آذار حلو فقـدناه وما بلغ الشبابا

تصوَّر من حلى النيروز وجهاً وجمَّع من زخارفه إهـابا

فراق صباحهُ صحواً وزهواً ولذَّ ضحاه حاشيةً وطابا

تناثر فى البطاح حُلى وأوفى على الآفاق فانتظم الهضابا

وسالت شمسه فى البحر تبراً على مثل الزمرّد حين ذابا

كأن نسيمه نَفَس العذارى طعمن الشهد أو ذقن الحبابا

تمناه ابن عبّاد صـبوحاً اذا حثَّ المزاهر والشرابا

وما قدّرت أن سيجنَّ ظهراً ولم تكن القيامة لى حسابا

تشعَّث لمة واغبرَّ وجهاً وولَّى مشفراً واقترَّ نابا

وبدّل حسن ذاك السمت قبحاً وأصنافَ النعيم به عذابا

وضجَّ البحر حتى خيل موسى اتى بعصاه أو فرعون آبا

وأبرق فى العُباب كأن سراً بأسطول الجزيرة قد أهابا

كأن شعاعها فى الثلج نارٌ لفارس حولها ضربوا القبابا

أو الحسناء يوم العرس جنّت فمزّقت الغلائل والنقابا

فمن سَحَرَ السماء فأمطرتنا فكان الدر والذهب الذهابا

تروق العين من بيضاء حال كما تربت بالتبر الكتابا

منادف عسجد ظفرت بقطن فما تألوه ندفاً وانتهابا

وقطعت الثلوج لكل روض وكل خميلة منها ثيابا

فمن صور مجلَّلة فراءً وولدان مسربلة جبابا

فتنـة الحسن

للشاعر الوجدانى احمد رامى

فتنة الحسن فى بديع المثال نازعتنى الى اجتلاء الجمال

طرة فى سواد جنح الليالى غرة كالصباح رفت عليها

وعيون تشع بالأمل العذ ب وتلقى سحرَ الهوى والدلال

وفم تبسم الملاحة فيه ببريق اللمى وظَلْم اللالى

وقوام مهفهف القد ممشو ق تهادى فى رفق خطو الغزال

طالعتنى وكنت أخلس منها خطرة الطيف فى سنوح الخيال

ثم مرت كما يمر نسيم ال روض عبْرَ الغدير بين الظلال

وقضى الله أن أراها وأروى ناظرى من بهاء تلك المجالى

وسمت الحديث من فمها المفترّ عن بسمة الندى فى الدوالى

فاذا خفة القطاة اذا اختا لت على الماء ساعة الآصال

وأذا رقة النسيم أذا بث شكاة المهجور عند الوصال

رامى

الاصل والمثال

عجبا أحق ما أحس وما أرى   أفهذه أنت انبعثت من الثرى ؟
هل يرجع الموتى الى الدنيا ولم   ينفخ لهم فى الصور أو يفن الورى ؟
أم صح زعم القوم أن زماننا   دور تسلسل فى العصور مكررا ؟
وحياتنا فيـــه مواسم ثبتـــة   لا تختفى حتى تعود فتظهرا
لكن ، أدار بك الزمان فريدة   وسها عن الماضين قبلك وازدرى ؟
أم قوة الايحاء بين قلوبنـــا   أحيتك ، أم هذا خيالك فى الكرى ؟

....

لا ، لا ، فليس يعود من قد ضمه   قبر ولست بحالم فيما أرى
ولو ان ايحاء يعيدك بيننا   لاسطاع دفع الموت عنك وأخرا
أفلم تكونى مهبط الايحاء من   ألبابنا والموضع المتخيرا ؟
ما هذه الا شبيهتك استوى   فيها كيانك يوم طاب وأزهرا
طرأت على كطائر متغـــرب   لم أدر من أى النواحى قد سرى
أفتنة أخرى ولما استــــعد   أمنى وقد مال الصبا وتحدرا ؟
إن كنت أنت اليوم أنت فأننى   غيرى تداولنى الزمان فغيرا
واعتضت من مرح الصبا وهبوبه   حذرا وتمحيصاً اذا أمر عرا
من ذا الذى دفع الفتاة لموضعى   لأراك فيها عنوة وتجبرا ؟
وأرى عهودك حلوها ومريرها   بينا المرير بهن كان الأكثرا
هل ضاق وجه الأرض حتى لم تجد   من أشبهتك سوى طريقى معبرا ؟
كم من فراسخ بين قطبيها وكم   بيدا توارى المشبهات وأبحرا ؟
ولم انتحتنى بالرنو ولم أكن   أعلى الشهود صوى وأروع مظهرا ؟
أفليس فى هذا دليل تعمد   لولا ائتماتك كنت أنت المصدرا ؟
ومن الذى يدرى ؟ فرب ارادة   للميت فينا دون أن نستشعرا !!
ولعلنا يوماً سنسمع فى الثرى   صوتا ونفهم منه معنى آخرا !!

....

والآن يا وجها رأيت بضوئه   آفاق ماض بالظلام تسترا
كن بعض ذا الماضى البعيد وقى   ضـــوءا يضر بمقلتى فتقطرا

محمود عماد

الورقـــاء

ونائحةٍ من بنات الهديل   تبثُّ الى الروض أحزانها
عراهامن الدهر غُلْبُ الخطوب   فهبت تودع بســـتانها
وفى الصدر من وجدها حسرةٌ   تكاد تفتت جثمانها
وعز عليها فراقُ الغصون   وما يملك القلب هجرانها
فقيها مغارس عهد الصبا   سقتها الغمائم هتّانها
وفيها سرير الهوى ما يزال   يحنُّ فيَرْجِعُ ألحانها
فأذْرَت مدامعها الغالياتِ   وقد خضّب الدمع أجفانها
وأهوت على النهر تُخفى الدموع   وتودع جنبيـــه تُحنانها

*

مواجع تقرؤها فى الضلوع   وتلمح فى العين عنوانها

*

أطافت بها زُمَرُ القانصين   وأفقدها الدهر أعوانها
فضمت الى صدرها أفرخا   أثار التفرق إرْنانها
وراحت تؤم فسيح الغياض   وتبكى مدى العمر أوطانها

أنور العطار
دمشق

دمـــر !...(1)

دُمَّرٌ ماؤها على الدر يهوى   كمراياً تكسرت من لُجَين
سكر الصحب بالمدام وأنى   نلت بالماء والهوا سكرتين
فحفيف الغصون شاب خرير   الماء لحناً فألّفا جوْقتين
جلست حول نهر دمر غيد   صرن والدوحَ حوله جنتين
بَرَدَى ما رأيت قبلك نهراً   ينبت الغانيات فى الشاطئين
ليس عيناى لى بكافيتين   فوق عينىَّ أبتغى الف عين
عن يمينى وعن شمالى وخلفى   كل حوراء بضة الساعدين
صرت من دهشتى ادير برأسى   أتوخى بنظرة نظرتين

أحمد الصافى النجفى
دمشق

(1) جنة من جنات الشام لدى مدخل دمشق



اكتشاف الكوكب السيار التاسع

(بلوتو)

للاستاذ عبد الحميد محمود سماحه

تدل كلمة (كوكب سيار) فى العربية كما تدل فى الأصل اليونانى Planet على صفة نوع خاص من الأجرام السماوية يتحرك فى السماء وسط النجوم (الثابتة)

وقد عرف المتقدمون من الكواكب السيارة عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل وتوهموا طويلا أن الشمس والقمر كليهما من الكواكب السيارة لتشابه حركاتها الظاهرية ، فكان المجموع سبعة ، وهو (العدد التام) الذى كان له شأن كبير فى فلسفة فيثاغورس الرياضية

و يلاحظ أن اشتقاق أسماء أيام الأسبوع من أسماء الكواكب السيارة ، فمثلا فى الانجليزية Sundey معناه يوم الشمس و Monday يوم القمر، و Saturday يوم زحل ، وما يشابه ذلك فى اللغة الفرنسية

ولما توطدت دعائم نظرية (كبرنكس) عن مركزية الكون (وقد سبق ان تكلمنا عنها هنا فى الرسالة) وتمكن السير اسحاق نيوتن من تفسير حركة الكواكب السيارة على أساس نظرية الجاذبية المشهورة، تغير وجه المسألة، إذ ثبت أن الشمس ماهى الا مركز المجموعة الشمسية ، وأن الأرض أحد الكواكب السيارة التى تدور جميعها حول الشمس فى مدارات دائرية تقريبا

والى ماقبل سنة ١٧٨١ لم يكن معروفا من الكواكب السيارة سوى هذه الستة السالفة الذكر بما فيها الارض ، وفى مساء ١٣ مارس من هذه السنة رأى السير وليم هرشل أثناء رصده لبعض النجوم جسما يختلف فى شكله عنها ، وسرعان ماتحقق أنه ليس من النجوم ولكنه من الكواكب السيارة ، فأتم الفلكيون ابحاثهم عنه وحسبوا مداره وحركته فى السماء واسموه (أرانوس) غير أنهم بعد قليل من الزمن لاحظوا أن مواقع أرانوس فى السماء تختلف اختلافا طفيفا مع ما توقعوه بالحساب على أساس نظرية الجاذبية

ومع أن هذا الاختلاف لم يزد فى أية حالة على دقيقتين قوسيتين إلا أنهم لم يستطيعوا أن يغمضوا أعينهم عليه ، وكان لابد لتبرير وجوده من أحد أمرين لاثالث لهما ثم يؤتى بالبرهان العملى عليه

الأول — أن يكون قانون الجاذبية العام الذى اكتشفه نيوتن والذى حسبت بمقتضاه مواقع ارانوس المستقبلة فى السماء قانونا غير طبيعى أو بعبارة أخرى غير صحيح

الثانى — أن يكون هناك جسم مادى غير معروف لنا يؤثر فى حركة أرانوس بالجاذبية وهو مما لم يعمل حسابه عند حساب مواقع أرانوس المستقبلة

ومن غرائب المصادفات أن يفترض اثنان من نوابغ الرياضيين وهما جون أدمز الانجليزى، ولافربيه الفرنسى ، مستقلا احدهما عن الآخر ، الأمر الثانى وأن يحسبا بمقتضى هذا الفرض مواقع هذا الجرم الغير معروف ، ثم يتقدما فى وقت واحد تقريبا (أواخر ١٨٤٥) الأول الى الأستاذ (تشالز) مدير مرصد كمبردج والثانى الى الأكاديمية الفرنسية بنتيجة بحثهما النظرى.

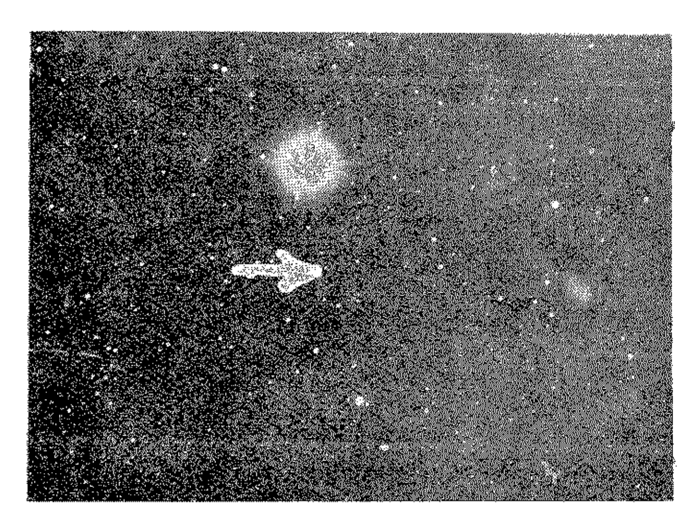
وفى رأيى أن العلوم الرياضية أو بالأحرى قانون الجاذبية العام لم يسجل فى تاريخ البشرية فوزا مثل هذا الفوز عندما أيدت الارصاد الفلكية وجود هذا الجرم السماوى بالفعل ، وفى نفس الموقع الذى أشار اليه كل من أدمز ولا فربيه فقد رآه جال (Galle) الفلكى المساعد بمرصد برلين فى مساء ٢٣ سبتمبر ومن بعده بخمسة أيام الاستاذ تشالز بمرصد كمبردج

وسمى الكوكب السيار الجديد (نبتون)

كان من الطبيعي بعد معرفة مدار نبتون وحركته أن تراقب مواقعه فى السماء ليرى هل هى تحقق المستنتج نظريا فيكون هو آخر الكواكب السيارة، أو هى لا تحققه فيقتضى البحث عن السبب.

وإذا وجد أن هناك اختلافا مثل الذى وجد فى حالة أرانوس، اعتقد الأستاذ لويل بمرصد فلاجستاف أنه لا بد أن يكون هناك كوكب سيار تاسع يؤثر فى حركة نبتون

وفى سنة ١٩١٤ أتم الأستاذ لويل بحثه النظرى وحسب مواقع هذا الكوكب السيار الموهوم فى أزمنة مستقبلة عديدة، غير أنه مات قبل اكتشاف هذا العالم الجديد، فأتم فلكيو فلاجستاف هذا البحث، وأخذوا صورا متعددة فى ليال متعاقبة لتلك المنطقة من السماء التى توهموا وجود الكوكب الجديد فيها، ثم اشتركت مراصد العالم المهمة فى هذا البحث حتى تحقق وجوده، وأعلن اكتشافه فى ١٢ مارس سنة ١٩٣٠ وسمى (بلوتو) لأن (بلوتو) فى القصة اليونانية هو أخ كل من المشترى ونبتون وابن زحل

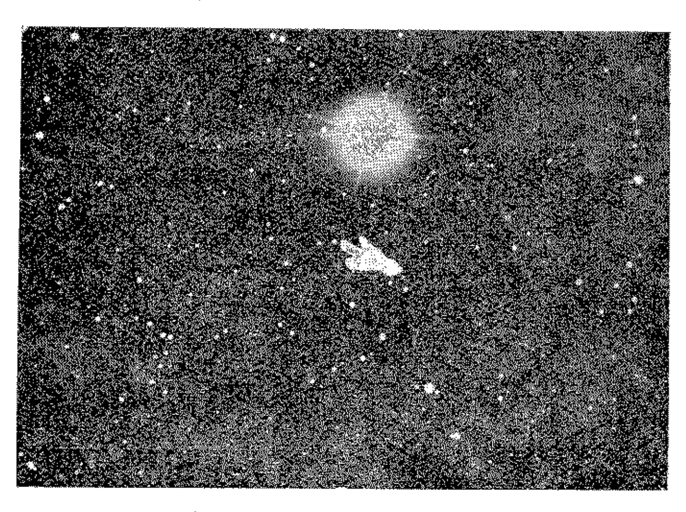


أخذ هذه الصورة بمرصد حلوان فى ١٩ مارس سنه ١٩٣٠ الدكتور مدور

وهــــذا الاكتشاف هو آخر الاكتشافات الفلكية الحديثة. وربما كان أهم الاكتشافات العلمية فى القرن العشرين ولا يقلل من قيمة اكتشافه أن الطريقة التى اتبعت فيه من الوجهة الرياضية هى عينها التى اتبعت فى اكتشاف نبتون ولا سيما وأن معرفته من بين النجوم العديدة على الالواح الفتوغرافية كانت من أشق الأمور حقيقة نظرا لصغر حجمه، ويكفى للدلالة على ذلك أن نذكر أن أصغر النجوم التى ترى بالعين المجردة ألمع من بلوتو بمقدار الف وستمائة مرة

ويبعد بلوتو من الشمس بما يزيد على ثلاثة آلاف وخمسماية مليون ميل، ويتم دورته حولها فى ٢٥٠ سنه تقريباً، وقد حسب بعض الفلكيين درجة الحرارة على سطحه فوجدت حوالى مائتين تحت الصفر المئوى، ولم يعرف الى الآن حجمه بالضبط. ولكن من المحقق أنه من أصغر الكواكب السيارة، وأن حجمه يقرب من حجم عطارد

ويرى بلوتو فى الصورة الى جانب النجمة الكبيرة رال التوأمين التى هى من القدر الرابع، وبمقارنة الصورتين نجد أن



أخذ هذه الصورة بمرصد حلوان فى ٢٤ مارس سنه ١٩٣٠ الدكتور مدور

بلوتو وهو المشار اليه بالسهم قد تحرك بين النجوم (الثابتة) فى مابين ١٩ و ٢٤ مارس ١٩٣٠ وهكذا تمكنا من معرفته من بين النجوم العديدة الأخرى

ولا نستطيع أن نقطع من الآن برأى فيما إذا كان (بلوتو) هو آخر الكواكب السيارة أو أن هناك ما هو أبعد منه، غير أن الزمن كفيل بأن يقطع فى هذه المسألة مرة أخرى؟

مواطن الحيـــاة الاولى

للأستاذ السر آرثر طمسن

ترجمة بشير الياس اللوس

(١) المواطن الساحلية

فى وسعنا أن ننظر الى عملية التطور السامية من ناحية جديدة ، فقد سهلت للحيوان أن يخضع لسيطرته جميع الاماكن الملائمة للحياة ، ويجعل المحيط خادما لمصلحته ومصلحة نوعه .

يظن أن العضويات الحية استوطنت السواحل البحرية أولا لما فى تلك المناطق من ظروف ملائمة للحياة ، فهى قليلة الغور غنية بالنور والهواء والغذاء ولاسيما ان الاعشاب البحرية النامية فى تلك الاماكن تجهز الموادالغذائية بمقياس واسع . ان هذه المناطق مأهولة فى الوقت الحاضر بممثلى جميع أصناف الحيوانات تقريبا من التقاعيات (infusorians) الى الطيور الساحلية واللبائن .

(٢) المواطن البحرية

ان الموطن البحرى يشمل جميع سطوح المياه الغنية بالنور عدا المناطق الساحلية القحلة . ويظن أن الحيوانات استوطنت هذه الاماكن لتجانسها ووفرة مافيها من خزيات مجهرية (Algae) تصلح طعاما لها . إن هـذه النباتات المجهرية تستمكن فى أجسام حيوانات دقيقة كالقشريات البحرية (Open - sea crustaceans) التى تعتاش عليها الاسماك ، وهذه بدورها تصبح طعاما للسلاحف المفترسة والحيتان ذوات الاسنان . وبهذا الاعتبار يظن أن البحر المكشوف كان الموطن الاصلى للحياة . وقد يكون الاستاذ (شرش Church) على صواب فى تصوره أن الحياة البحرية تقدمت على الحياة الساحلية .

(٣) أعماق البحار

يظن أن قعر البحار العميقة كان موطنا ثالثا للحياة ؛ ففى ذلك المحيط البارد فى ذلك الشتاء الدائمى والظلام الدامس الذى لا يضىء فيه غير بريق الحيوانات الفسفورية الضئيل ، وتحت ذلك الضغط الهائل — طنان ونصف طن على البوصة المربعة الواحد فى عمق ١٥٠٠٠ قدم — وبين ذلك السكون العميق وفى تلك الوحدة الرهيبة ؛ أجل فى تلك الظروف كانت الحياة تقضى شطرا من أدوارها . وربما جرى استعمار هذه اللجج العظيمة الغور فى عصور حديثة العهد نسبة ؛ لان الحيوانات التى نعثر عليها فى هذه الاماكن لاتشمل اصنافا قديمة جدا ؛ ويرجح أن الحيوانات الساحلية هى التى استعمرت هـذه الاماكن بتتبعها لبقايا الطعام خلال أجيال عديدة .

(٤) المياه العذبة

تشمل المياه العذبة جميع الانهار والبحيرات والبرك والمستنقعات والغدران ، وربما حصل استعمار هذه المياه بهجرة بعض الحيوانات بصورة تدريجية الى مصبات الانهار ، أو بالزحف المباشر فى ساحل البحر الى الغدير .

(٥) استيطان اليابسة

قامت بعض الحيوانات الساكنة فى البحر أو فى المياه العذبة على ممر العصور باستيطان اليابسة تدريجيا ، ويجب أن نميز ثلاث غزوات كبيرة قامت بها الحيوانات وهى :

ا — غزوة الديدان : ونتيجتها إخصاب الارض

ب — غزوة الحشرات : ونتيجتها تأسيس الرابطة بينها وبين الزهور .

حـ — غزوة البرمائيات (١) : ونتيجتها نشوء الحيوانات البرية الراقية ونمو الذكاء والحب العائلى .

وهناك غزوات أخرى أقل من تلك شأنا ، ولكن جميعها تدلنا على أن الحيوانات المائية تميل الى احتلال اليابسة وتحاول استعمارها بشتى الطرق .

ان للنزوح الى اليابسة مزايا عظيمة ، ذلك لانه كان بمثابة التوصل الى محيط فيه مقدار من الاكسيجين أكثر مما هو مذاب فى الماء . غير أن التسلط على أكسيجين الهواء أمر صعب نوعا ما ، ولما كانت حياة اليابسة تكيف جسم الحيوان فتجعله أكثر صلابة وأفضل وقاية كان لا بد من تكون سطوح داخلية فى جوف الحيوان تمكن الدم من أخذ الاوكسيجين وايصاله الى جميع أنحاء البدن وهكذا نشأت الرئتان . فى أغلب الحيوانات يذهب الدم الى السطوح المعدة لاتصال الاكسيجين ، أما فى الحشرات واتباعها فطريقـــة أخذ الاكسيجين الى الدم او الى الانسجة تختلف عن ذلك . ففى هذه الحشرات توجد أنابيب متشعبة تتوزع على جميع أنحاء البدن ، ووظيفتها أخذ الهواء من المحيط . يفسر لنا هذا التنفس الكامل مغالبة هذه الحشرات التى يكون دمها نقيا على الدوام .

ان استيطان اليابسة أدى أيضا الى تكيف الحركة الانتقالية فى الحيوان على النحو الذى نراه الآن . فصار الحيوان يدفع جسمه

(١) كلمة منحوتة من بر وماء للدلالة على الحيوان الذى يستطيع أن يعيش فيها

الى الأمام مستندا الى الارض ، وتكونت فى جسمه سلسلة من العتلات (الروافع) وهكذا تصلبت أجسام معظم الحيوانات البرية واصبحت تستند الى الارض بمنتهيات صغيرة نسبيا — هى الانامل — حتى لاتدع مجالا لانبطاح الجسم أو تدليه الى الأرض ، فحيوان كقنديل البحر (Jelly-fish) مثلا يعيش فى المياه ويستطيع أن ينتقل فيها بسهولة ، ولكن يتعذر عليه أن يعيش فى اليابسة لان تركيب جسمه لا يساعده على الحركة الانتقالية فى البر . وربما تبادر الى الذهن أن بعض الحيوانات البرية تشذ عن التكييف الذى تستلزمه حياة اليابسة — كديدان الارض وام الاربع والاربعين (Centipedes) والافاعى . ان شرح الحركة الانتقالية فى هذه الحيوانات ليس بالامر الصعب ، فدودة الارض تحفر طريقها فى التربة كما يفعل اللولب ، وجسم أم الاربع والاربعين يحمل على عدة أرجل قوية ، كما أن الحية تدفع نفسها الى الأمام بواسطة حراشف بطنية واسعة متصلة بمنتهيات عظمية متشعبة فى العمود الفقرى .

الضرورة وحب الاستطلاع

ويهمنا أن نبحث الآن فى مجازفات الحياة على اليابسة ، لان ذلك يمكننا من فهم الدواعى التى حملت عددا عظيما من الحيوانات البرية على حفر أوكارها فى التراب ، وعددا آخر منها على تسلق الاشجار ، ولماذا رجع بعضها الى الحياة المائية ولجأ البعض الآخر الى الهواء ، وربما تبادر الى أذهاننا أن نتساءل لماذا استعمرت اليابسة رغما عما فى ذلك من مجازفات ومخاطر عظيمة ؟ الجواب على ذلك : « أن الضرورة وحب الاستطلاع هما أبوا الاختراع ! » فقد تكون الدواعى التى حملت بعض الحيوانات على ترك الحياة المائية هى من قبيل جفاف الغدران أو ازدحامها بعدد لا تستوعبه من الحيوانات ، أو الهرب من الاعداء الكامنة لها بالمرصاد ، ولكن يجب ألا نتغاضى أيضا عن غريزة حب الاستطلاع التى كانت ولم تزل عاملا مهما من عوامل التقدم .

(٦) غزو الهواء

وأخيراً لجأت الحيوانات الى الهواء فنجحت فى غزوه الحشرات والعظايا المجنحة القديمة (Pterodactyls) والطيور والوطاويط وأخفقت غيرها فى تلك المحاولة كما نرى ذلك جليا فى الأسماك الطائرة التى تقفز فى المياه الى علو بضع يردات ، تساعد على ذلك زعانف كبيرة تنشرها عند القفز ، وهذا ما نجده أيضاً فى الضفادع الطائرة (Rhacophorus) التى تطير من غصن الى آخر . وهناك كثير من أمثال هذه الحيوانات التى يستدل منها على محاولة الحيوان فى الماضى التغلب على الهواء ذلك الأمر الذى أدركه الانسان عن بعد بطريقة أوجدها من عنده .

لاشك أن المقدرة على الطيران لها مزايا وفوائد عديدة ، فالطير الذى يعتاش على ما فى الأرض يستطيع أن يهرب من الكواسر الداهمة بارتفاعه السريع فى الهواء ، وفى وسعه أن يتتبع الأماكن التى يكثر فيها الطعام والماء مهما كانت بعيدة ، وفى امكانه أن يضع بيضه فى مواقع أمينة لاتصل اليها أيدى الاعداء . وقد استطاعت الطيور بهجراتها أن تتغلب على الزمان والمكان فكثير منها لا يعرف شتاء طول حياته .

نظام الطبيعة المتطور

وللتطور صفحة واضحة أخرى وهى ميله لربط الأحياء بعلاقات حيوية مهمة ، فالزهور مرتبطة بضيوفها من الحشرات ارتباطاً حيوياً وثيقا فيه منفعة مشتركة للفريقين . وهناك طيور تعتاش على ثمر العليق فتنشر البذور . وهكذا يحافظ على نسل النبتة ، ونعلم أيضا أن الحلزون المائى النحيف يكون مأوى لدودة الكبد (التى توجد فى الاغنام) فى أدوار حداثتها ، وأن البعوض يحمل جرثومة الملاريا وينقلها من شخص الى آخر بواسطة اللسع .

ونستطيع أن نجد علائم التعاون ظاهرة بين بعض الحيوانات المتشابهة فتكون مستعمرات أو طوائف أو مجتمعات كما هو بارز فى النحل والنمل واللبائن ، وفى كل ذلك مصلحة مشتركة للأفراد المتعاونة .

على أن هناك علاقات تكون فيها المصلحة لجهة واحدة كما هى الحالة فى الحشرات التى تفسد العمليات التناسلية لبعض النباتات التى تحط عليها ، وزيادة على ذلك أن الحلقات الغذائية تربط مجموعة من الحيوانات كما هى الحالة فى سمك القد (Cod) الذى يعيش على القوقع (whelk) والقوقع على الدودة والدودة على البقايا العضوية فى البحر .

نسيج الحياة

لقد أصبحت العلاقات المسيطرة على النظام الطبيعى متناهية فى التعقيد ، وكان التطور العامل المشجع الاكبر لذلك التعقيد . فامست بنية الانسان أعقد من جميع الكائنات الحية ، ويتراءى لنا أن نظام التطور قضى على الوحدة والتشابه ، وكون تنوعات جديدة ذات صفات ومؤهلات تختلف فى بعضها باختلاف المحيط الذى تعيش فيه ، وهكذا سجلت خطوات الارتقاء على لوحة الطبيعة وأصبحت الكائنات الحية فى مأمن من النكوص على الاعقاب فى سلم التطور ؟



زنبل (١)

بقلم الأديب حسين شوقى

إذا كان المسيو هريو الوزير الفرنسي الكبير قد أبدى لدى عودته من موسكو إعجاباً شديداً بروسيا الشيوعية فى أحاديثه الى مندوبى الصحف، فانى أعرف كائنا ما كان ليشاركه فى إعجابه لو كان حياً، وهذا الكائن هو قطتنا زنبل، لأن زنبل كانت أرستقراطية بحقيقة معنى الكلمة، ويحسبها نبلا أنها من مخدرات قصر يلدز.. وإنى محدثك كيف آلت الينا: كنا فى الاستانة بعد خلع السلطان عبد الحميد، وكان أثاث القصر يباع يومئذ بالمزاد العلنى، فذهبنا نشاهد ماعرض من طرائف التحف ونفائس الكنوز لأن شهرة يلدز بهذه العجائب لا تقل عند الناس عن شهرة مغارة «على بابا» فى ألف ليلة ذهبنا الى القصر على غير نية الشراء لأن والدى كان يعارض فى ابتياع شيء من يلدز احتراما لذكرى عاهلها المخلوع. وكان يجله ويرى فيه رمزاً لمجد الامبراطورية العثمانية التى بدأ ظلها يتقلص فعلا بعد سقوطه، ولكن ما كادت أبصارنا تقع على زنبل القطعة الأنقرية الجميلة حتى وقفت لا تريم عنها انصرافا. وانقسمنا فريقين فريقا من الصغار (نحن) يتمسك بالشراء، وفريقا من الكبار يعارض فيه، وانتهى الخلاف طبعاً بانتصارنا، اذ كان لابد من انقاذ زنبل من الحالة المهينة التى كانت عليها فى تلك الساعة، فقد وضعت فى قفص ضيق حقير ليشاهدها الرائحون والغادون.. فدفعنا الثمن خمسة جنيهات وحملناها معنا.. أما طرائف القصر الأخرى فكانت عادية لا تزيد على نظائرها فى سائر القصور الملكية..

مازلت أذكر زنبل خلال ضباب الماضى البعيد، وهى جالسة على مقعد من القطيفة فى الصالون الصغير بمنزلنا القديم بالمطرية، ترتل أناشيدها فى هدوء وطمأنينة.. وكم كان شعر زنبل جميلا يحاكى بياضه الناصع الثلج الذى يجلل جبال الاناضول وطنها العظيم، وكانت نعومة شعرها أشبه شيء بنعومة الزئبق..

أما عيناها فكانتا تعكسان ماتشاهده على ضفاف البوسفور من خضرة زمردية بديعة..

وكان لحم كفيها ناعماً طريا الى حد اننا كنا نجد لذة فى القبض على تلك الأكف الظريفة..

كان صيد الفيران والصراصير من الأمور الحقيرة التى لاتتعرض لها زنبل، كما تفعل ذلك القطط الاخرى..

لأن تسلية زنبل الوحيدة كانت أن تسحب أمامها خيطا فتجتهد هى أن تقفه بضربات يدها الصغيرة.. وطالما جررنا لها ذيلها لنوهمها انه خيط عادى فكانت المسكينة تصدق ذلك فتوسعه ضربا..

وفى ذات يوم وقعت حادثة أدهشت من بالمنزل جميعا وهى أن زنبل حامل! رباه! كيف زلت زنبل الأرستقراطية؟ كيف خالطت زنبل قطط الحى وهى كلها قطط عادية شعبية لا تمت لانقرة بنسب؟ ولكن زنبل وكأنها شعرت بالخطيئة الكبيرة التى ارتكبتها ما كادت تضع حملها حتى هجرت صغارها، فاضطررنا ان نغذى هؤلاء الصغار تغذية صناعية. كانت زنبل على حق فى هجر أطفالها لأن هؤلاء الصغار كن من الصعاليك لايليق أبداً ان ينسبن اليها..!

بعد مرور عامين على هذا الحادث، وعودة زنبل الى حياتها الأولى الهادئة، عزمنا على قضاء بضعة أشهر فى الخارج، فعهدنا الى أحد الخدم برعاية زنبل، والعناية بوجه خاص بغذائها، وهو دجاجة مسلوقة كل يوم، وكانت زنبل لا تأكل منها الا اللحم.. ولكن لدى عودتنا من أوربا فوجئنا بخبر وفاة زنبل، على أثر مرض لم يمهلها طويلا.. كما قال الخادم المكلف بخدمتها.. أما الحقيقة التى عرفناها بعد، فهى أن ذلك الخادم الخبيث كان يأكل دجاجة زنبل ويعطيها عظمها فترفضه زنبل.. وهكذا فقدت حياتها، ولكن فى كرامة وأباء! كما يفعل الأرستقراطيون الاصلاء..

كرمة ابن هانىء — حسين شوقى

(١) لفظ تركى معناه البرد بفتح الراء

الحـــارس

لجى دوموباسان

بعد أن فرغنا من تناول الغداء ، كان قد بدأ صديق لنا قديم وهو السيد (بونيفاس) يسرد علينا حوادث ومخاطرات جرت له أثناء الصيد ، وهو مشهور بالصيد وشرب الخمر ، جلد ، بشوش ، ذو تفكير ناضج ، وشعور حى ، وله فلسفة تهكمية تظهر بها نفسيته عند المداعبة القارصـــة ، ولا تظهر أبدا اذا تكلم بحزن . قال لنا فجاءة :

إننى أعرف حادثة صيد ، أو بالأحرى مأساة صيد فريدة فى بابها ، لا تشبه أبداً الحوادث التى نعرفها ، وإننى أعلم أنى لم أقصها عليكم من قبل ولا على غيركم ، لأنها لا تسلى أحداً ، فهى ليست عاطفية ، أريد أن أقول أنه ليس لها هذا النوع من اللذة التى تشوق السامع أو التى تسحره ، أو التى تذهله ، وها كم الحادثة :

كان عمرى آنئذ يناهز الخامسة والثلاثين ، وكنت اصطاد بقوة الشباب ، وكنت قد اقتنيت فى ذلك الوقت قطعة أرض منعزلة فى احدى الضواحى محاطة بالغابات وهى مأوى طيب للارانب . ذهبت اليها مرة وقضيت فيها وحدى أربعة أيام أو خمسة لأننى لم أتمكن من اصطحاب أحد الاصدقاء . مكثت هناك كالحارس أو كشرطى متقاعد شجاع شديد البأس على باب قلعته ، وكنت لا أخاف شيئاً . وكان بالقرب من أرضى ، بيت صغير منعزل أو بالأحرى كوخ يتألف من غرفتين سفليتين ومطبخ . وغرفة للطعام ، وغرفتين علويتين ، احداهما صغيرة لا تتسع لا كثر من سرير ومرآة وكرسى وهى التى استأجرتها ، وكان يشغل الثانية (كافاليبه) الهرم ، وقد قال لى أنه وحيد فى مسكنه . فأقمت عنده باسم مستعار ثم أسكن معه حفيده ، وهو من الأشقياء تبلغ سنه أربعة عشر عاماً كان يذهب من حين الى آخر الى القرية التى تبعد ثلاثة كيلومترات وكان يساعد الكهل فى أشغاله اليومية .

كان لهذا الشقى الطويل الهزيل المحدودب قليلا ، شعر أصفر اللون خفيف يشبه ريش الدجاجة المقصوص ، حتى ان من يراه يحسـبه أصلع ، وله كذلك قدمان ضخمتان ويدان جبارتان كيدى المارد ، عينه حولاء قليلا ، وكان اذا مشى لا يرى أحداً فهو الى الحيوانات أقرب منه الى الانسان لأنه يشبه الثعلب . كان ينام فى ثقب صغير فى أعلى الدرج وكان يدعى « ماريوس »

ولكنه تخلى عنه اثناء اقامتى هناك لامرأة مسنة تدعى « سيليست » كان الكهل قد أتى بها لصنع الطعام .

قد علمتم الآن الاشخاص والمكان فها كم الحادثة :

نحن فى ١٥ أكتوبر سنة ١٨٥٤ وهو التاريخ الذى لا أنساه أبداً . خرجت ذات صباح من روان ممتطيا صهوة جوادى يتبعنى كلبى « بوك » ذو الصدر الواسع واللسان الحاد والاسنان القوية ، التى تخترق الاشواك .

وكنت مردفا حقيبة سفرى وبندقيتى ، وكان يوماً شديد البرد ، عاصـــف الهواء رطبه ، كثيف السحاب مسرعة ، وكنت أرى من الشاطىء وادى السين الواسع الذى يمتد ماؤه حتى الأفق ماراً بأوكار الثعابين على ضفتيه ، وكان النظر يمتد على الضفة اليمنى حتى يقف على الشواطىء البعيدة المستورة بالغابات ، ثم اجتزت غابة رومار ، مبطئا تارة ومهرولا أخرى حتى كنت فى الساعة الخامسة تقريبا أمام البيت حيث كان الكهل والعجوز ينتظراننى .

وبعد عشر سنوات من نفس التاريخ ذهبت بنفس الهيئة وسلمت على نفس الوجوه بنفس الكلمات .

ــ أهلا وسهلا أيها السيد ، كيف صحتك ؟ ألا تزال جيدة ؟

وكان الكهل لم يتغير منظره أبدا ، فقد كان يقاوم الزمن كالشجرة المسنة ، ولكن « سيليست » كانت قد تغيرت ملامحها منذ أربعة أعوام لا أكثر حتى أننى لم أعرفها لأول وهلة . غيرها الزمان ولكنها مازالت نشيطة . وكانت تمشى بجسمها الطويل منحية الى الامام حتى أن رجليها كانتا تشكلان تقريبا زاوية قائمة .

وكانت هذه المرأة تبذل جهدها فى عملها ، وكانت تدهش عند ما ترانى وكانت تقول لى عند كل ذهاب :

ــ هل هذه هى المرة الأخيرة التى أراك فيها يا عزيزى ؟

حقا أن وداع هذه الخادمة محزن ، وأن قنوطها أمام الموت الذى لا مفر منه كان يظهر جليا فى وجهها وعينيها حتى أن وداعها كان يؤلمنى يشعرنى بحالة نفسية غريبة .

نزلت عن ظهر الجواد الى الأرض وكان الكهل الذى صافحته يقود الجواد الى المأوى الصغير الذى يصلح أن يكون اصطبلا ، ثم تبعت سيليست الى المطبخ الذى يصلح أن يكون غرفة طعام . ثم تبعنا الحارس ، وقد لاحظت للوهلة الأولى أن وجهه ليس كالمعتاد فأن القلق والضيق يظهران عليه فقلت له :

ــ هل تريد أيها الشيخ أن يسير كل شىء فى العالم حسب رغبتك ؟

فقال بصوت هادىء :

ــ إن ما حدث لى اليوم ، سبب لى هذا الضيق

فقلت : ماذا حدث لك أيها الكهل ؟ هل لك أن تقص على ذلك فأومأ برأسه سلبا ؟ وقال :

ـ لا ، لم يحن الوقت أيها السيد ، انى لا أريد أن يحصل مثل هذا بعدالآن ، فألحفت عليه ، ولكنه رفض أن يبدأ بها قبل الغداء فعلمت أنها قصة مؤثرة . ثم قلت له قطعا للصمت :

ـ وهذه الجعبة ؟ هل لنا فيها شيء ؟

ـ فقال : نعم ، ستجدون ماتشاءون ، الحمد لله ! لقد كان نصيبي اليوم وافراً .

قال هذه الكلمات بشجاعة ، ولكنها شجاعة حزينة تبعث على الضحك ، فان شاربيه الضخمين الرماديين كانا على وشك السقوط من فوق شفته .

ثم أخبرتهما فجاءة أنني لم أر الحفيد الى الآن فقلت :

ـ وماريوس ؟ أين هو ؟ لماذا لا يظهر الآن ؟

فاعترت الحارس رجفة خفيفة ثم التفت الى بسرعة وقال :

ـ أريد إذن أن أقص عليك الآن أيها السيد كل شيء ، أجل انى أفضل ذلك ، وأن الذى أطويه فى سرى يتعلق بماريوس .

فقلت أين هو الآن ؟ فأجاب :

ـ إنه بالاصطبل ياسيدى ، وأنا أنتظر الساعة التى يظهر بها فقلت وماذا يصنع هناك ؟ قال :

ـ إسمع أيها السيد . . ثم تردد برهة وتغير صوته وإرتجف وظهرت على وجهه تجاعيد الشيخوخة ثم قال :

ـ إسمع ، لاحظت فى هذا الشتاء أن هناك سارقا فى الغابة ولكنى لم أتمكن من القبض عليه . فقضيت هناك بضعة ليال ولكنى لم أجد شيئاً . وفى هذه الاثناء أخذ يتزايد المسروق من الغابة ؛ فانفجرت غيظاً وحنقاً وطفقت أبحث عن المجرم ، ولكن عبثاً .

وفى أحد الايام ؛ عند ما كنت أنظف سروال ماريوس وجدت فى جيبه أربعين قرشا ، فقلت فى نفسى من أين لهذا الغلام بها ؟

ولبثت ثمانية أيام أفكر ، ثم رأيته يخرج كل يوم عند ما أرجع الى البيت لاستريح ، فعندها أخذت أراقبه ، ولكن دون أن يرتاب بى .

وفى ذات صباح رأيته يستعد للذهاب فنهضت على خلاف عادتى وتبعته وليس أحد يجاريني أيها السيد فى التتبع . ثم قبضت عليه . قبضت على ماريوس الذى كان يسرق من أرضك أيها السيد ! نعم هو حفيد حارسك

فغلى الدم فى رأسى وفكرت فى ان أقتله فى مكانه بضربة من يدى ، آه . نعم ضربته وقلت له اذهب ، وأوعدته أنك عندما تكون هنا سأضربه مرة أخرى عقابا له لاردعه ، وقد أثر فى الحزن فهزلت كما ترى وأنك تعلم عقاب مخالفة كهذه المخالفة . ولكن ماذا كنت تعمل غير هذا ؟ أنه ليس له أب ولا أم وليس من أسرته إلا أنا ؛ فكنت أراقبه ولا أقدر أن أطرده ، على انى أنذرته أنه إذا عاد الى هذا العمل فان خاتمته سوف تكون على يدى . ولن أرحمه أبداً ، فهل صنعت حسنا أيها السيد ؟

فقلت له مادا اليه يدى .

ـ نعم ما فعلت أيها الشيخ ! إنك رجل شجاع

فقال : شكراً أيها السيد . وسأذهب الآن فأدعوه اليك ؛ فيجب أن تؤدبه أنت أيضا ليرتدع .

وكنت أعلم أنه ليس من اللائق أن أرد هذا الشيخ عن قصده ، فتركته يفعل ما يشاء ، فذهب يبحث عن الشقى ثم رجع به يجره من أذنه .

وكنت جالساً على كرسى من القش بهيئة المستعد للحكم .

فظهر ماريوس أمامى كبر سناً وأكثر قبحاً من السنة الفائتة ، وظهرت يداه الكبيرتان ضخمتين . فدفعه عمه أمامى وقال بصوت المربى :

ـ اعتذر لصاحب الأرض !

فلم ينبس الغلام ببنت شفة

فقبض عليه عمه من ابطيه ورفعه عن الارض وأخذ يضربه بقسوة اضطرتنى الى أن أستشفع له فأخذ الولد يصيح

ـ شكراً ، شكراً أعدك أن . . .

ثم ألقاه الشيخ على الارض وأخذ يضربه على كتفيه وركبته قائلا له : ـ اعتذر

فقال الشقى أخيراً بصوت متهدج وطرف خاشع : أعتذر ، وعندئذ رفعه عمه وأطلقه بركلة جعلته دحرجته فوق الارض فتجا ، ولم أعد أراه فى المساء

ولكن ظهر على الشيخ أنه تعب فقال : ـ إن أخلاقه سيئة .

وقال ونحن على مائدة الغداء .

ـ انى أحزن له أيها السيد ، أنت لا تعلم كم يشجينى أمره . فحاولت أن أسليه ولكن عبثاً . .

ونمت باكراً استعداداً للصيد ، وكان كلبى نائماً عند رجل سريرى حين أطفأت شمعتى .

استيقظت نصف الليل على صياح الكلب ، ولاحظت أن غرفتى ملأى بالدخان ، فقفزت من فراشى وأشعلت النور وهرولت نحو الباب ففتحته فدخل تيار من الدخان ، وكان البيت يلتهب !

فأقفلت الباب بسرعة ولبست سروالى وازلت أولا كلبى من

النافذة بواسطة حبل مربوط فى سترتى ، ثم القيت ثياب وسكينى وبندقيتى ونزلت أخيرا بالواسطة نفسها .

وأخذت أصيح بكل قواى : ـ كافاليه ! أيها الشيخ ! كافاليه ! .

ولكن الشيخ لم يستيقظ ، بل كان نائما نوم الضباط العميق ، وفى هذه الاثناء رأيت من أعلى النافذة أن الطابق الأسفل كالأتون المستعر ، ولاحظت أنه مملوء بالتبن الذى أشعل لتقوية الحريق . .

وعاودت الصياح بشدة قائلا : ـ كافاليه . .

ثم مر خاطر برأسى ، فصوبت بندقيتى الى النافذة وأطلقت رصاصتين فانكسرت الالواح الستة ، وفى هذة المرة سمع الكهل ولما رأى النار اعتراه ذهول ودهش فصحت به :

بيتك يحترق ، ألق نفسك من النافذة ، اسرع ، اسرع . . وكان الدخان يخرج من النوافذ السفلية ، موازيا الحائط ثم يزحف الى الشيخ ويحيط به ، فألقى بنفسه فسقط على رجليه كالهرة . ثم مضى وقت ، وصار السقف يفرقع وكان الدرج أشبه بمدخنة طويلة ، وكان لسان النار الطويل يتصاعد فى الجو ويتمدد ، وكانت الشرارات تتناثر حول البيت فقال الشيخ بذهول :

ـ كيف حصل هذا ؟ فأجبت : ـ وضعت النار فى المطبخ فقال : ـ من تظن انه وضعها ؟ فقلت فجاءة : ـ ماريوس !

ففهم الشيخ وقال : ـ آه ولأجل هذا لم يرجع بعد

ولكن فكرة رهيبة خطرت لى فقلت : وسيليست ، سيليست ؟ ! فلم يجب ، ولكن المنزل كان ينهار امامنا كتلا من الاحجار لامعة دامية ، وكانت المرأة المسكينة قد صارت حجرا أحمر ، من اللحم البشرى .

اننا لم نسمع صياحا ، ولكن عند ما انتقلت النار للسقف المجاور لسقفنا فكرت فى جوادى وركض الشيخ ليخلصه .

وتمكن بمشقة من فتح باب الاصطبل فشاهد جسما خفيفاً سريعاً مر بين رجليه ولطمه فى أنفه ، وكان هذا ماريوس هارباً بكل قواه ، فنهض الشيخ ليقبض على الشقى ، ولكنه عرف انه لايمكنه اللحاق به ، وأصابه جنون شديد ، ولما رأى انه لايستطيع القبض عليه تناول بندقيتى الموضوعة على الارض قريباً منه فوضعها تحت ابطه قبل أن تبدو منى حركة واحدة ، وأطلقها وهو لايعرف أن فيها رصاصات عديدة ، فأصيب الهارب فى ظهره وسقط على الارض مضرجاً بدمه ، فأخذ ينكث الارض بيديه ورجليه كأنه يريد أن يركض على أربع كالارانب الجريحة حين ترى الصياد قادما اليها .

فتألمت ، وأخذ الغلام ينازع ثم قضى قبل أن ينطفىء الحريق دون أن يقول كلمة .

وكان كافاليه واقفا بقميصه وساقيه العاريتين ، لايتحرك وعند ماأتى رجال القرية حملوا حارسى وهو كالمجنون .

ذهبت الى المحكمة شاهداً وسردت الحادث بتفاصيله دون أن أبدل شيئاً ، فبرىء كافاليه ، ولكنه ترك البلدة فى اليوم نفسه ولم أعد أراه . .

هذه قصة صيدى أيها الساده !

محمد ناجي الطنطاوي

بليـــاس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكى موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

(تابع)

مليزاند ـ خل سبيله . . . قد يباغتنا أحد . . .

بلياس ـ كلا . كلا . لن أطلق سراحك الليلة . أنت سجينتى ، وستظلين كذلك الليل كله . .

مليزاند ـ بلياس ! بلياس !

بلياس ـ لن تستطيعى الفكاك بعد ذلك . . إنى أربط شعرك حول الأغصان . . . لم أعد أتألم وسطه . . أتسمعين قبلاتى ترقص على امتداده ؟ إنها تتسلقه ، ويجب أن تحمل كل شعرة إليك قبلة . . . أنظرى . . . أستطيع الآن أن أفتح يدى . . . أترين ؟ هاتان يداى مفتوحتين طليقتين ، ومع ذلك تعجزين عن هجرى والابتعاد عنى !

(يخرج من البرج يمام ويطـير حولهما)

مليزاند ـ أوه ! آلمتنى . . . ما هذه الطـير التى تحوم فى الفضاء حولى ؟

بلياس ـ اليمام خرج من البرج . . لقد أفزعته فطار

مليزاند ـ أنه يمامى يابلياس ! إذهب من هنا ودعنى وحدى . . لن يعود إلى يمامى !

بلياس ـ ولماذا ؟

مليزاند ـ سيضل فى الظلام . . . دعنى أرفع رأسى . . . إنى ، أسمع وقع أقدام . . . اتركنى بربك . . . إن (جولو) مقبل علينا ! أعتقد أنه هو ! لقد سمع حديثنا . .

بلياس — انتظرى ! انتظرى ! شعرك عالق بالأغصان ..وقد إشتبك فى سواد الليل . انتظرى !
انتظرى ! ... التف الكون بالظلام ...
(يدخل جولو من الطريق المستديرة)
جولو — ماذا تصنع هنا ؟
بلياس — ماذا أصنع هنا ؟ . . . إنى . . .
جولو — أنتما طفلان . . . مليزاند ، لاتنحنى هكذا على النافذة.. ستسقطين . . . أنسيتما أن شطراً كبيراً من الليل قد تردى فى هوة الماضى ؟ . . . كاد الليل أن ينتصف . . . لايجوز أن تلعبا فى الظلام كما تفعلان الآن . . . أنتما طفلان . . . (ثم يقول فى إنفعال شديد) أى طفلين ، أى طفلين !
(يخرج مع بلياس)

المنظر الثانى :

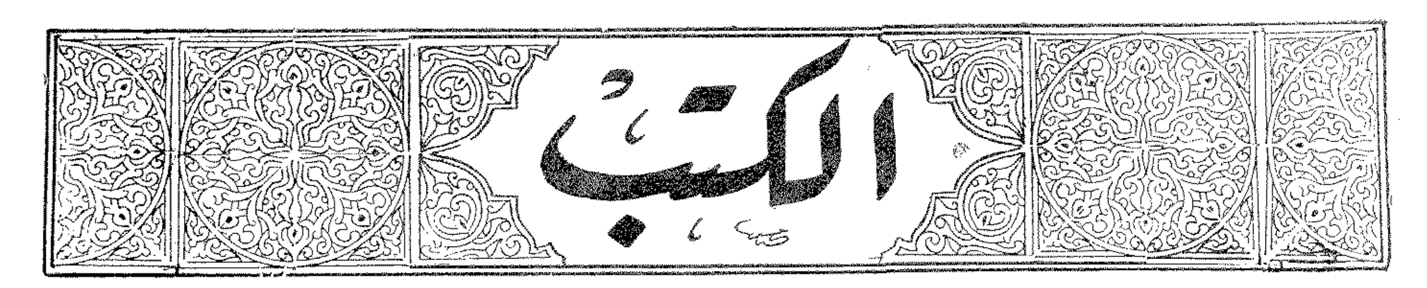
(كهوف تحت القصر . يدخل جولو وبلياس)
جولو — أحترس . . . من هنـا من هنا . . . ألم تلج قط هذا المكان ؟
بلياس — بلى ،مرة واحدة . . . وقد مضى على ذلك زمن طويل
جولو — إذن أنظر . . . هاهوذا الماء الراكد الذى حدثتك عنه . . أتشم رائحة الموت التى تنبعث منه ؟ هلم نتقدم حتى نبلغ آخر الصخرة المطلة على الماء ، ثم إنحنى عليها قليـلا . . . ستهب عليك الرائحة وتصدم وجهك . إنحنى ولاتخف ، سأشد أزرك .. أعطنى .. لا . لا . . لاأريد يدك . . أخشى أن تفلت من يدى . . أعطنى ذراعك . . . أترى الهاوية ؟ بلياس ؟ بلياس ؟
بلياس — نعم. أعتقد أنى أرى قاع الهاوية . . . أهو النور الذى يهتز هكذا ؟ . . . أنت . . .
جولو — نعم . إنه المصباح فى يدى يهتز . . انظر، إنى أحركه لأنير الجدر . .
بلياس — إنى أختنق فى هذا المكان . هلم نخرج
جولو — لك حكمك
(يخرجان فى صمت)

المنظر الثالث :

(شرف terrace عند مخرج الكهوف)
بلياس — آه ! الآن أتنفس بعد ضيق . . . اعتقدت ، لحظة ، أن الدوار سيصرعنى فى هذه الكهوف الهائلة . . كنت على وشك السقوط . . فى ذلك المكان المخوف هواء رطب ثقيل كأنداء من الرصاص ، وظلمات كثيفة كعجين مزج بالسموم . . وهأنذا أملأ رئتى بهواء البحر كله ! . . إنى لأجد نسيما منعشا نضيرا ، كزهرة تفتحت فى هذه اللحظة وسط أوراق صغيرة خضراء . . آه ! لقد سقيت منذ قليل الأزهار المغروسة امام الشرف ، والنسيم يحمل إلينـا رائحة العشب المبلل ويفوح بشذى الأزهار وعطرها . . حان وقت الظهر أو كاد ، وآية ذلك أن ظل البرج قد أدرك الأزهار . انتصف النهار ، لأنى أسمع دق النواقيس وأرى الأطفال يجرون نحو شاطىء البحر للاستحمام. آه! أنظر . أمنا ومليزاند فى إحدى نوافذ البرج
جولو — نعم إنهما لجأتا الى ناحية الظل بعصمهما من حرارة الشمس . . وبمناسبة مليزاند أقول لك إنى سمعت ماجرى وما قبل أمس مساء . إنه حديث أطفال يلعبون ، وأعرف ذلك جد المعرفة
ولـكن يجب ألا تعودا إلى ما كنتما فيه من حديث ولعب . إنها رقيقة الحس ورقيقة الأعصاب ، وحالها تتطلب معاملة فيها حسن السياسة ولطف الـكياسة ، لأنها فوق ماذكرت تحمـل فى أحشائها جنينا وستصبح أما فى القريب العاجل . وأقل إنفعال قد يصيبها بمكروه . وليست هذه بأول مرة أرى فيها مايجعلنى أظن أن بينك وبينها أشياء . . إنك أكبر منها سنا ، ويكفى أن أقول لك ذلك . . تجنبها ما أستطعت ، ولـكن فى غير تصنع . . أسمعت؟ فى غير تصنع (يخرجان)

المنظر الرابع :

(امام القصر . يدخل جولو وولده إينيولد الصغير)
جولو — تعال نجلس هنا يا إينيولد . تعال . على ركبتى . سنرى من هذا المكان مايجرى فى الغابة . لم أعد أراك يابنى منذ أيام كثيرة . أنت أيضاً تهجرنى وتزور عنى معرضا ! إنك فى كل حين عند أمك الصغيرة (يعنى مليزاند) . . آه ! ها نحن أولاء نجلس تحت نوافذها مصادفة . . لعلها فى هذه اللحظة تؤدى صلاة المساء . . ولـكن دعنا من هذا وقل ، يابنى : إنها تقضى أكثر وقتها مع عمك بلياس ، أليس كذلك ؟ (يتبع)



دائرة المعارف الاسلامية

للأستاذ احمد أمين

لعل أكبر عمل قام به المستشرقون هو تأليف دائرة المعارف الاسلامية، قصدوا بها أن يجمعوا بحوثهم ومعلوماتهم فى كتاب جامع مرتب على حروف الهجاء، يتكلمون فيه عن البلدان والموضوعات التاريخية والفقهية والنحوية واللغوية الخ ويترجمون فيه للأعلام

وقد بدأوا عدتهم فى ذلك بنشر الفكرة بين علماء الاستشراق سنة ١٨٩٩ على ماأذكر، وأخذوا يجمعون المواد ويرتبونها ويوزعونها على العلماء من هولنديين وألمان وانجليز وفرنسيين وايطاليين وغيرهم من الشرقيين، وظلوا فى هذا الأعداد نحو عشر سنوات، ثم أصدروا الأعداد تباعا باللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والألمانية، كل عدد يقع فى نحو ثمان وستين صفحة بالخط الدقيق

واعتزموا اخراج هذا المعجم فى أربعة مجلدات ضخام كل مجلد يقع فى أكثر من ألف صفحة، وقد أخرجوا الى الآن مجلدين وأعدادا من المجلدين الثالث والرابع وقد عنوا بتوزيع الموضوعات على المختصين فيها فكثير من الموضوعات المتعلقة بالفقه والأصول كان يكتبها جولد زيهر والأدبية «هوار» وهكذا

ولم يستوفوا فى كتابتهم كل ما يجب أن يكتب حول الموضوع وإنما اقتصروا على أهمه ووكلوا الافاضة فى ذلك الى المراجع التى يذكرونها عقب كل مادة ثم يذيلونها باسم من كتبها، ولهم الى الآن نحو خمسة وعشرين عاما يوالون اخراج اعدادها، وربما كان امامهم نحو عشر سنوات أخرى لاتمامها، فهم فى كل عام يخرجون عددين أو ثلاثة، وكلما انقرضت طبقة من العلماء والناشرين حلت محلهم طبقة أخرى ينهجون منهجهم ويسيرون فى طريقهم وان كان الرعيل الاول أمتن وأعمق من الرعيل الذى خلفه، والكتاب فى جملته من أهم الكتب التى تفيد الباحث وترشده الى أهم ما قيل فى الموضوع وتدله على خير الكتب العربية والافرنجية التى يصح أن يرجع الباحث اليها للاستزادة منها

وكثيراً ما فكرت لجنة التأليف والترجمة والنشر فى تعريبها حتى ينتفع بها قراء العربية فى الممالك الشرقية ولكن أكثر ما كان يعوقهم أمور :

(الأول) أن العمل لم يتم بعد، وقد سار المؤلفون فى ترتيبها مراعين الكلمة العربية بحروفها الأفرنجية فوضعوا مثال كلمة « عبد » فى حروف الألف - وكثير من الموادالتى لم تؤلف بعد هى فى حرف الألف بالعربية، وان كانوا هم قد أتموا حرف الألف بالافرنجية فكلمة « أسامة » و « أرجوان » يجب أن توضع فى حرف الألف بالعربية وهى توضع فى حرف a بالأفرنجية فلاتمام كل حرف يجب أن ينتظر الى اتمام الكتاب

(الثانى) أن كثيراً من الموضوعات نظر فيها العلماء المستشرقون نظرة خاصة غير النظرة التى ينظرها المسلمون وعالجوا نواحى قد يهم المسلمين غيرها، وبعضهم كان متعصبا فكان يمزج عصبيته ببحثه كما فعل الأب لامانس فى بعض ما كتب، وهذا يوجب أن يكتب الموضوع من جديد ومن غير تحيز

(الثالث) أن بعض الموضوعات قد تغير فيها نظر العلم منذ كتبت، فالكتب التى عثر عليها فى هذه الأعوام الثلاثين، والنقوش التى استكشفت، وجهود العلماء، جعلت المادة لو كتبت من جديد لكانت أدق وأوفى، وجعلت المراجع التى يجب أن يشار اليها أتم وأكمل

(الرابع) أن المواد لما وزعت على الأعضاء لم تخرج متناسبة فقد رزقت بعض المواد الحظوة التامة فملأت الكتابة عليها كثيرا من الفراغ على حين أن مادة أهم منها قد لا تذكر بتاتا أو تذكر فى قليل من الايجاز فخرج الكتاب غير متناسب الأجزاء

هذا كان تفكير الشيوخ، والشيوخ دائما حذرون يكثرون التفكير فى العواقب ويحسبون لكل خطوة ألف حساب، فما هو إلا أن نهض الشباب ولا راد لنهضته فهزأ بكل العقبات وثابر على العمل وجد واقتنع بأن اخراج العمل مع ما قد يكون فيه من

نقص أجدى على العالم العربى من الانتظار ، فليخرج ولينتفع به القراء والباحثون ولينتقد ثم ليصلح النقد ، وليكن فيه تقصير، ولكن هذا التقصير يستدرك ، فسنستدركه نحن أو يستدركه غيرنا ، هذا خير ألف مرة من التسويف وانتظار الزمن وانتظار الكمال، اذن فلننهض بحمل العبء ، وليجد غيرنا فى نقدنا واصلاح مافاتنا ، فمن وراء هذا وذاك عمل مجيد أقل مافيه أنه عمل يطلع علماء الشرق على عمل الغرب فى مادتهم وعلومهم، ويعلمهم كيف يبحثون ويرتبون معلوماتهم، ويضعونها تحت السبر والاختبار ، ويبعث علماء الجيل القادم فى الشرق أن يهبوا من رقدتهم فيضعوا بأنفسهم ولأنفسهم معاجم ودوائر معارف يعدونها اعدادا صحيحا وافيا ثم لا يكونوا عالة يتكففون الغرب

لعل هذا وأكثر منه هو مادار فى نفوسهم وحفزهم للعمل فتحملوا العناء مبتسمين راضين

لقد أخرجوا لنا باكورة عملهم فى هذا العدد الأول وهو فى ورقاته القليلة يدل على ماوراءه من جهد كبير، فهم بلاشك قبل ذلك ترجموا كل كلمات الدائرة ورتبوها حتى تكون متسلسلة محكمة، وهم بلا شك راجعوا كثيرا من النصوص واستفتوا كثيرا من العلماء فيما غمض عليهم، واستعانوا بهم فيما نرى أثره من تعليقات

قد قرأت هذا العدد وراجعت بعض مواده على الاصل الانجليزى ووافقت الاستاذ اسماعيل مظهر على بعض وجوه النقد المنشورة فى هذا العدد والتى ستنشر فى العدد التالى، ولكن أهم مالاحظته وأود أن يتداركوه فى الاعداد القادمة أن الترجمة ينقصها كثير من الصقل، فالقارىء يشعر دائما أن العبارة مترجمة عن أصل أجنبى مع أن مقياس جودة الترجمة فقدان هذا الشعور وأن يخيل للقارىء أنها كتبت بالعربية ابتداء

من أمثلة ذلك ماجاء فى صفحة ١٤ : « ومن واجب كل مسلم أن يعمل المعروف وأن ينهى عن المنكر » مع أن المألوف فى العربية : « أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » وماجاء فى صفحة ١٣ : « وهم دون أن يجادلوا فى شرعية حكم الخلفاء الاربعة الراشدين كما يفعل الشيعة يصرون على أن القدوة الحسنة بعد النبى كانت فى أبى بكر وعمر » فمحال أن تصدر هذه الجملة من كاتب يضع كتابته بالعربية، الى أمثال من ذلك يكاد يجدها القارىء فى كل صفحة . فلعل مرونة القلم والصبر على التجويد والرغبة فى تحقيق الأكمل يذهب بهذا النقص فى الاعداد القادمة

وأخيرا أحيى فى الشباب هذا الجد والنشاط وأكبر هذه العزيمة وأتمنى للمشروع النجاح ؟

معجم الحيوان

تأليف الدكتور أمين باشا المعلوف

ليس هذا السفر الجليل مما تجوز معه القراءة السريعة والنظرة العجلى ، لانه ليس لغواً من القول وحشوا من الكلام ، بل لابد لك - إن أردت أن تحصل مما فيه شيئاً - من وقفة طويلة يحدوها الصبر الجميل . ذلك لانك بصدد بحث علمى دقيق . فهو معجم لأسماء الحيوانات بقلم الفريق أمين المعلوف ، ذكر فيه لكل حيوان اسمه العربى والفرنسى والانجليزى فضلا عن اصطلاحه العلمى . ووصف كل حيوان وصفا أوجز فيه حينا واسهب حينا آخر ، إذا إقتضى الامر إيجازا أو اسهابا

وليس هذا المعجم وليد اليوم ، إنما هو مقالات نشرت فى مجلدات عديدة من المقتطف . بدىء فى نشرها منذ أكثر من عشرين عاما ، ولكن الدكتور المؤلف قد توج هذا المجهود العظيم ، وأتم على قراء العربية فضله ونعمته ، بأن جمعها وبوبها ورتبها فى معجم واحد ، فملأ بذلك مكانا شاغراً فى المكتبة العربية

وأحب أن أسوق اليك مثلا لدقته فى البحث ، ماجاء عن ترجمة كلمتى leopard , tiger ؛ فقد كان شائعاً بيننا أن الاولى تطلق على النمر ، والثانية على الفهد ، ولكنه أثبت خطأ هذا التعريب ، وبين أن tiger معناها ببر ، وأن leopard معناها نمر ، أما الفهد فهو ما يقول عنه الانجليز Cheeta . ويحسن أن ننقل الى القارىء نص ما جاء بالمعجم فى تعريب كلمة tiger ، ليرى المراجع التى استند اليها المؤلف : ببر (فارسية معربة) tiger. Felis tigris

سبع هندى يعادل الأسد فى عظم الجثة والقوة الا أنه أشد منه بطشا . وهو أبيض البطن والجانبين مع صفرة، ومخطط بخطوط سود

ولا بد لى من الاطالة فى الكلام على الببر والنمر والفهد والوشق وعناق الأرض، وذلك لكثرة الخطأ فى ترجمة هذه الألفاظ . فالعرب لم يكن عندهم لفظة يعبرون بها عن هذا الحيوان المسمى tiger عند الافرنج فاستعملوا اللفظة الفارسية ولم يسموه نمرا ولا النمر الهندى، ولا بأس بتسميته بالأسد الهندى كما جاء فى محيط المحيط فانه أقرب الى الأسد منه الى النمر . وقد وردت لفظة الببر كثيراً فى المؤلفات العربية وفى الشعر العربى والمقصود بها هذا الحيوان المخطط المسمى tiger عند الافرنج ، فقد جاء فى كتاب عجائب المخلوقات « الببر حيوان هندى أقوى من الاسد، بينه وبين الاسد معاداة ، واذا قصد الببر النمر فالأسد يعاون النمر » وقال الدميرى فى آخر كلامه عن الببر : « وذكر فى ربيع الابرار أن الببر على

صورة الاسد الكبير وهو أبيض يلمع بصفرة وخطوط سود » وقال الجاحظ : « الفيل والببر والطاووس والببغاء والدجاج السندى مما خص الله به الهند » وقال فى محل آخر : « لان هذه السباع القوية الشريفة ذوات الرياسة كالأسد والببور والنمور لاتعرض للناس الا بعد أن تهرم فتعجز عن صيد الوحش » . وهو مايقوله الأفرنج الآن عن هذه الحيوانات عند ماتضرى بأكل لحوم البشر . ثم قال فى محل آخر : « والببر هندى مثل الفيل ايضا والكركدن فلا يقوم له سبع ولا بهيمة ، ولا يطمع فيه ولا يروم ذلك منه » . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب كليلة ودمنة ويفهم من سياق القصة انه من الحيوانات المفترسة ، فلو كان المقصود به أحد السباع المعروفة عند العرب كالنمر أو الاسد أو الفهد لما تعذر على ابن المقفع استعمال لفظة عربية حتى أتى بكلمة أعجمية . وقد ترجمت هذه اللفظة tiger فى النسخة الانجليزية من كتاب كليلة ودمنة وورد ذكرها فى مفردات ابن البيطار فى آخر باب النمر حيث قال : « والببر سبع كبير » وترجمت Tigre الفرنسية . وهذه اللفظة مستعملة فى بعض انحاء الهند فى وقتنا الحاضر لهذا الحيوان بعينه ، وكذلك الفرس فانهم استعملوها بهذا المعنى ايضا كما ورد فى شرح جامع التواريخ لكاترمير فقد ذكر الشارح كلمة ببر وقال عنها :

Qui designe le veritable tigre royal الخ . الخ .

ولشد ما أدهشنى هذا الخطأ الذائع الذى لم يجد قبل الفريق أمين المعلوف من يرده الى صوابه ، ولم يقتصر أمر هذا الخطأ على طلاب المدارس والمشتغلين بالترجمة جميعا ، بل تعداه الى أكبر دائرة فنية فى مصر وهى حدائق الحيوانات ، فانا أعلم أن ادارة تلك الحدائق تضع الكلمة العربية « نمر » الى جانب اللفظة الانجليزية tiger تعريبا لها ، وقد أنبأنى صديق منذ أيام أنها أدركت أخيرا هذا الخطأ فأصلحته منذ أمد قصير

وقد أتيحت للدكتور المعلوف فرصة قل أن تتوفر لغيره ، وهى هذا التجوال فى انحاء السودان وبلاد العرب ، فجمع من الطبيعة نفسها ، ومما سمعه من أفواه الشعوب التى مر بها من المعلومات مالا يوجد بين دفات الكتب . مثال ذلك كلمة « أصله » التى ورد ذكرها فى أساطير الاولين أنها حية وكفى دون أن يعلم لحقيقتها وجود ، فاستطاع أثناء وجوده بالسودان أن يطبق هذا الاسم على مسماه لأنه سمع الأهلين هناك يطلقونه على نوع خاص من الحيات

لست أريد أن أفصل هنا الخلاف الذى قام بين الفريق أمين المعلوف والدكتور محمد شرف ، الا أننى أميل الى الاعتقاد بأن الدكتور شرف قد استقى مما نشره الدكتور المعلوف شيئا كثيرا دون أن يشير الى ذلك فى معجمه ، وكان خيرا أن ينسب الفضل لذويه

ز . ن . محمود

دائرة المعارف الاسلامية

نقد وتقـــدير

للاستاذ اسماعيل مظهر

ترجمها محمد ثابت الفندى وأحمد الشنتناوى وابراهيم زكى خورشيد وعبد الحميد يونس ، تصدر فى أجزاء دورية كل شهرين . صدر منها العدد الاول من المجلد الاول فى ٦٤ صفحة من القطع الكبير محلى بصورة جلالة ملك مصر وصدر بمقدمة فى ٦ صفحات من قلم « لجنة الترجمة » والورق ممتاز والطبع حسن .

***

بورك فى الشباب ! بورك فى الشباب عامة والطامحين منهم خاصة . فالشباب روح الامم وعمادها . والطامحون من الشباب هم بناة المجد وسدنة الحضارة وعمد القوة . والشباب اذا نام خيم على الامم النسيان وغشيها السكون وهوم عليها النعاس . نعاس القرون بل نعاس الحقب والدهور . والشباب اذا تيقظ ودارت رحاه قذف بالكرات الواقفة على عجلة الدائرة الى فضاء العدم ، واستخلص من لباب الامم كرات جديدة تساير رحاه فى حركتها وتضيف اليها قوى جديدة يستعان بها على بلوغ الغرض الاسمى والمثل الاعلى . أما الشباب القانع المستنيم للدهر وللاقدار ، فلا خير فيه الا بقدر ما فى البذرة الحية من الاحتفاظ بجنينها ، لتسلمه الى الطبيعة حياً عسى أن تكون منه جرثومة تخرج شباب الطموح والاستعلاء والتطلع الى اللانهاية .

شباب قنع لا خير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا

ونحن اليوم أمام عمل يقوم به الشباب المتوثب الى المجد ، المتعطش الى المعرفة ، الوثاب الى المثل والغايات . عمل أقل ما يوصف به أنه أثر جليل من آثار القوة والجرأة النادرة التى تنبئنا بأن عجلة الشباب قد أخذت تدور لتقذف بالكرات الواقفة ، وتجمع من حولها الكرات الدائرة . فان ترجمة موسوعة كاملة ، فى أى موضوع كانت ، و من أى مصدر استقيت ، لعمل عظيم . فكيف بموسوعة كدائرة معارف الاسلام وعت الواناً من التاريخ والفقه والتصوف والفلسفة واللاهوت والترجمة والجغرافية وعلم الهيئة الى غير ذلك مما وعت حياة العرب قبل الاسلام وبعده . فان العلاقة بين الاسلام والجاهلية لعلاقة شديدة الآصرة تتعارض فى نسيجها خيوط من روح الامم العربية والامم التى دانت بالاسلام . وكل هذا يزيد من صعاب العمل على المؤلفين ، ولا يجعله هينا على المترجمين . فاننا لم نعن بعد بتبويب ما وصل الينا من فروع المعرفة التى تلقيناها عن العرب ، ولم تفكر حتى فى تصنيف اسماء الكتب التى تعتبر مراجع صحيحة نعود اليها فى معرفة أسماء البلدان أو الاشخاص أو الاماكن ، أصيلة كانت أو معربة عن اللغات الاخرى كاللغات السامية ، ومنها السريانية والآرامية ، واللغة الاغريقية على الأخص . ولقد كان هذا سببا فى أن يتورط مترجمو هذه الموسوعة فى أخطاء هم أبعد الناس عن أن يقعوا فى مثلها عن قصد ، أو عن حاجة الى الصبر على البحث ، أو عن زهد فى توخى الكمال المستطاع . ولو اننا أردنا أن نذهب فى نقد العدد الاول وهو باكورة هذا العمل الذى يرقبه اديب عراقى « كما يرقب الصائم هلال العيد » مذهب الاطناب لا الايجاز لاحتجنا الى الوقت والى الفراغ . لهذا نعمد الى بعض المواد و نتناولها بالمناقشة البريئة من كل غاية الا أن يتدارك شبابنا الطامح بعض الاخطاء التى نرجح اننا فى نقدها على حق . و نصيحتنا التى لا نرمى من ورائها الى أى غرض بعيد عن توخى الاصلاح ، ان يعيد مترجمو هذه الموسوعة النظر فيما طبع منها وما لم يطبع ، وأن يستعينوا بذوى التجربة والنظر ، وان يترفعوا فى عملهم هذا عن فكرة الاعتزال به عمن يستطيعون أن يعاونوا فيه صونا لسمعة أعمالنا الأدبية أن ينتابها النقص أو تنتقصها الانانية .

على أنى أريد أن الفت نظر اللجنة المحترمة الى عبارة وردت فى المقدمة جاء فيها : « ومما يغتبط له قارىء هذه الدائرة أن أعلام مصر سواء أكانوا من علماء الأزهر الشريف أو من أساتذة دار العلوم أو الجامعة المصرية قد ساهموا بنصيب وافر فى مراجعة الترجمة والتعليق على بعض الفقرات ، وفى إبداء الملاحظات القيمة والآراء السديدة » هذه هى العبارة وانى لأعجب كيف أن أعلام مصر من علماء الأزهر الشريف وأساتذة دار العلوم والجامعة المصرية قد فاتتهم هنات هينة وأخطاء نحوية مثل قولهم « طبع مرتان » (راجع مادة أبشقة ص ٦٣) وغير ذلك مما نمسك عنه و نكتفى بتوجيه نظر اللجنة اليه .

بيد أنا إن اكتفينا هنا بالاشارة البسيطة فاننا نود ان نعبر عن اسفنا الشديد لأيراد مثل العبارة التى نقلناها عن المقدمة فان فيها لتفريطاً ، وان فيها لمغالاة ، وان فيها لاشراكا لأعلام مصر أجمعين فى أخطاء مثل التى سوف نسوق الكلام فيها .

والآن نبدأ بمادة «أبخاز» وقد وقع عليها النظر إتفاقاً ، فاثرنا ألا ننتقل الى غيرها ومضينا فى مراجعتها فبانت لنا الملحوظات الآتية :

(١) جاء فى ص ٢٠ نهر ٢ — « وكان الابخازيون يعرفون قديما باسم أبسكوى (عند المؤرخ آريان) وباسم أبسجى (عند بلنياس Pliny) ويذكر بروكوبيوس (فى القرن الخامس الميلادى)

أن الأبخازيين كانوا تحت حكم اللازوى . وجاء فى ص ٢١ ، نهر ١ وكان سيدرنيوس البيزنطى » الخ . والصحيح فى تعريب الأسماء أن تجرى فيها على القواعد التى جرى عليها العرب، فلا نقول بلنياس بل بلنيوس ، ولا نقول بروكوبيوس بل فروقوفيوس ، ولا نقول سيدرنيوس بل قذرنيوس ، أما قواعد التعريب فحديث طويل ليس هنا محله .

(٢) «ولكن الأسباب الجغرافية وحدها تجعل إحتلال هذا الأقليم احتلالا فعليا بعيد الاحتمال .» (ص ٢٠ نهر ٢) والأصل الأنجليزى كما يلى

Geographical reasons alone sufficed to put any idea of really subjugating the country ourt of question.

والمحصل من الترجمة والأصل أن المترجم وضع كلمة « الأسباب الجغرافية » مقابل - geographical reasons - والأصح أن يقال « العوامل أو المؤثرات أو الموانع الجغرافية » لأن كلمة الأسباب تتضمن معنى « الناموس » الثابت فى حين أن كثيراً من المؤثرات الجغرافية يتنابها التغير إن سريعا وان بطيئا على تتالى الأجيال وخضوعا لسنن يعرفها الفلكيون والجيولوجيون على الأخص . ووضع المترجم كلمة «تجعل» لتقابل - sufficed - والكلمة الانجليزية معناها « كفت » ، ثم أنه ساق الجملة العربيـــة فى صيغة المضارع وهى فى الاصل بصيغة الماضى لانها تتكلم عن ماض محدود بالزمان . ووضع كلمة احتلال لتقابل كلمة - subjugation - فى حين أن احتلال معناها فى الانجليزية - occupation - ولكن subjugation معناها اخضاع . والظاهر أن المترجم لم يهتف مرة واحدة بسقوط الاحتلال لا بالانجليزية ولا بالفرنســية ، ووضع العبارة الانجليزية out of question - لتقابل بعيد الاحتمال، والحقيقة انها وضعت لتدل على أن: «العوامل الجغرافية وحدها كفت لان تصرف العرب عن التفكير فى اخضاع الاقليم اخضاعا تاماً . والواقع أن احتلال اقليم قد يجوز أن يكون تاما ولكن الاقليم لايكون خاضعا بالفعل . فان ايطاليا احتلت طرابلس احتلالا عسكريا تاما بأن بددت كل قواه العسكرية ، ولكن اخضاع أهل الاقليم لم يتم الا بعد زمان طويل . والفرق بين الاحتلال والاخضاع لاينبغى أن يغيب عن ذهن مترجم يكتب فى ابحاث تاريخية سياسية . لان ملاحظة مثل هـذه الفروق الدقيقة ضرورى لينطبق تصور القارىء دائما على الحالات التى يريد المؤرخ أن ينقلها الى مخيلته .

(٣) «وقد اخضع جستنيان الامبراطور الرومانى الابخازيين فاعتنقوا المسيحية » . (ص ٢٠ نهر ٢) والخطأ هنا فى تعريب اسم الامبراطور الرومانى «يوستنيانوس » Justinian لان حرف — j — ينطق « ياء » فاثبته المترجم « جيما » على الضد من كل الاصول المرعية .

(٤) «ومنذ ذلك العهد أصبحت لغة جورجيا لغة الادب» . (ص ٢١ نهر ١) وماهى لغة جورجيا ، ؟ المؤلف يقصد هنا لغة أهل الكرج — Georgia — التى عربها المترجم باسم جورجيا حرفيا . فى حين أن العرب ومن أتى من بعدهم قالوا الكرج . ومن الاسف أن المترجم جرى على هذا الخطأ فى كل الجزء المطبوع . فقال ملك جورجيا وهو ملك الكرج تحقيقا .

(٥) « وعند البحث عن أصل موطن البجراتونيين يجب أن نتجه نحو الغرب (نحو جرخ وريون) » . وفى الاصل الانجليزى - On the Corokh & Rion - والمفهوم من العبارة الانجليزية أن المؤلف يقصد شواطىء نهرين ولو لم اتحقق من ذلك بل أدركه بالسليقة فقال « نحو الغرب على الكرخ والريون . فجاءت الترجمة غامضة بعيدة عن الاصل . وكذلك يجب ان نلاحظ أن المترجم قد اكثر من ذكر الابخاز بصيغة جمع الجمع فقال الابخازيين والبجراتونيين وغيرهم . فى حين أن الابخاز جمع كالاعراب . ولايصح أن تقول أعرابيين أصلا . أما فى البجراتونيين فقد اصطلح مثلا على أن ندعو القبيلة التى انحدر منها أهل أثينا القديمة « فلاسجة » واسمها الاصلى فى الانجليزية - Pelasgians - وهى صيغة عربية مقبولة تجرى على قواعد التعريب المتبعة . فكان الواجب على المترجم اذن ان يقول البجارطة بدل البجراتونيين . هذا اذا لم يكن العرب قد اصطلحوا على تعريب لأسم هذه القبيلة، ولااتصور أن يكون بعيدا كثيراً عما اذهب اليه .

(٦) وورد فى خطاب الامبراطور طرابزون انه كانه لأمراء الأبخاز جيش يبلغ عدده .../ ٣٠ مقاتل (ص ٢١ نهر ٢) وفى الأصل الانجليزى :

according to a letter from the Empror of Trebizond in the year 1459 etc.,

والفرق بين الاصل والترجمة شاسع . فالترجمة تقول « فى خطاب الأمبراطور » .. والاصل فى خطاب من امبراطور ... وهنا لك فرق لايخفى بين خطاب لامبراطور وخطاب من امبراطور ، فضلا عن أنه اسقط السنة المسكينة (١٤٥٩) من الترجمة كلية .

(٧) لم يستطع الابخازيون ان يتخلصوا من سلطان الترك ونفوذ الاسلام فى حين كانت المسيحية تتناقص فى بطء شديد. (ص ٢١ نهر ٢) والاصل الانجليزى ذكر كلمة Supplauted فترجمت خطأ تتناقص والحقيقة تستأصل. لان النقص يعبر عنه فى الانجليزية بكلمة decrease ويقابله الزيادة — increase — هذا فضلا عن ركاكة التعبير الذى تحسه فى استعمال تتناقص ببطء شديد.

(٨) ومنذ انفصال جورجيا صار يحكم بلاد الابخاز كاثوليكوها (الذين ذكروا فى القرن الثالث عشر للميلاد) فى بتزند (ص ٢١ نهر ٢) والاصل الانجليزى كما يلى:

since the separation from Georgia the Country had been under its own Catholicos (for the rest mentioned as early as the 13th Century) in Pitzand.

والخطأ هنا فاحش. فان المؤلف لو كان قد أراد أن يقول أن البلاد كان يحكمها كاثوليكيوها لقال -its own Catholics- وكأنه من الواجب أن يدرك المترجم أن كلمة -Catholicos- تدل على وظيفة كنيسة كما يفهم بديا من سياق الجملة ومن سياق الحديث معا. أما كلمة - Catholicos - فقد عربت وأثبتت فى المعاجم العربية ونقلت عنها الى المعاجم الانجليزية العربية الكبرى. فجاء فى قاموس « بدجر » - Badger - الفقيه الانجليزى المعروف أمام هذه الكلمة « الجثالقة جمعا مفردها جاثليق » . وجاء فى القاموس المحيط للفيروزابادى — » هو الجاثليق بفتح الثاء المثلثة رئيس للنصارى يكون فى بلاد الاسلام ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثم المطران تحت يده ثم الاسقف يكون فى كل بلد من تحت المطران ثم القسيس ثم الشماس » . (ص ٢١٧ مجلد ٣).

وهذا يدل على أن المترجم قد أخطأ، وأنه أخطأ خطأ فاحشا من الوجهتين التاريخية والعلمية فالتاريخ لم يثبت أن الكثالكة كان لهم حكم مدنى فى بلد من بلاد الاسلام. والناحية العلمية، كما يدل سياق الكلام فى الأصل، تشير الى أن الجثالقة كان يناط بهم أن يرعوا أحوال النصارى الشخصية على قواعد الدين النصرانى تحت حكم الاسلام المدنى. وعلى هذا يجب أن تكون الترجمة على خلاف ما جاء فى « دائرة المعارف الاسلامية » ، ويجب أن تكون كما يأتى «ومنذ الانفصال عن الكرج (لا منذ انفصال جورجيا لأن الأصل separation from Georgia) كان للبلاد جاثليقها المقيم فى بتزند. أما الجملة المعترضة التى جاء فيها for the rest mentioned as early as the 13 th Century والتى ترجمها المترجم بقوله: (الذين ذكروا فى القرن الثالث عشر الميلادى) ويقصد بهم الكاثوليك خطأ بعد أن خلقهم من وهمه والوهم خلاق، فيراد بها أن بقية الحكام الذين يمثلون نواحى الحكم الاخرى كانوا يذكرون منذ القرن الثالث عشر الميلادى. واذن يكون تعيين جاثليق يرعى مصالح النصارى لم يأت الا بعد أن امتد نفوذ الاسلام، واحتاج الامر الى راع يرعى مصالح الاقلية المسيحية فى بلاد اسلامية.

(٩) « وفى عام ١٤٦٢ م (فى عهد الملك بجرات الثانى) ثبت أمراء أسرة شروشيد فى مراكزهم » والاصل الانجليزى كما يلى:

in 1462 (under king Bagrat II) the confirmation of the Sherwashidze as princes (Eristaw) of the country took place

وانت تتساءل ماهى مراكزهم هذه؟ هى أنهم اعترف بهم أمراء. هكذا يريد الاصل أن يقول. ولكن المترجم يريد أن يقول أنهم ثبتوا فى مراكزهم لا غير. وعلى القارىء أن يضرب الرمل ويناجى الودع ليعرف فى أى المراكز ثبتوا. ولو تصور أنهم ثبتوا فى الارض بالاسمنت المسلح لكان له عذر. يتبع

« حول قصيدة — بقية المنشور على صفحة ٦ »

مابذلت من الجهد لما ظهر فيه من الحرص على أن تحتفظ ما استطعت ببعض الاصل، وإذا كنت قد استطعت أن تترجم هذه القصيدة فليست هى إذن من الغموض بحيث يقال. فان قصيدة مظلمة حقا تحتاج الى تغيير أعمق من هذا التغيير الذى أحدثته لتصبح ترجمتها أمرا ميسورا. فأنا مدين لك بهذا الدليل الواضح على أن المقبرة البحرية شيء يمكن فهمه إذا عنى القارىء بعض العناية بقراءتها ورغب بعض الرغبة فى فهمها.

وأظن أن السخرية فى هذا الكتاب أوضح من أن تحتاج الى أن أدل عليها، ولعلك تسألنى أن أترجم لك هذه القصيدة كلها أو بعضها، ولكنى معتذر من ذلك لأمرين. الأول: أنى أجد فى قراءة القصيدة لذة راقية قوية حقا، ولكنى لا أستطيع أن أقول أنى أفهمها على وجهها، وليس على من ذلك بأس مادام النقاد والأدباء الفرنسيون وهم أعلم منى طبعا بلغتهم وأدبهم يختلفون فى فهمها الى هذا الحد. والثانى: أن بول فاليرى نفسه يرى أن ترجمة الشعر الى النثر قتل لهذا الشعر، وتمثيل به ومحو لآيات الجمال فيه، وأعوذ بالله أن أقترف هذه الجناية أو اتورط فى هذا الأثم، ولكن فى مصر شعراء أو أنا أرجو أن يكون فى مصر شعراء يحسنون الفرنسية فهل لهم أن يستبقوا فى ترجمة هذه القصيدة شعرا عربيا، وهل لأصدقائنا أصحاب الرسالة أن يجعلوا للفائز فى هذه المسابقة من الشعراء جزاء يلائم ما سيبذله من الجهد الذى سيكون عنيفا حقا، ولكنه سيضع أمام قراء اللغة العربية نموذجا من أرقى وأروع نماذج الشعر الحديث؟

طبعت بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المدابغ